


# مجلة جامعة أم القرى

## مجلة فصلية للبحوث العلمية المحكمة

السنة الثالثة العدد الخامس العام ١٤١١ هـ



# علاقات القراخانيين بتركستان وبلاد ماوراء النهر بالدول الإسلامية المجاورة، ودورهم في نشر الإسلام ( ٣٨٢ ـ ٤٨٢ هـ / ٩٩٢ ـ ١٠٨٩ م )

الدكتور / مسفر بن سالم بن عريج الغامدي*

* التحق بجامعة أم القرى سنة ١٣٩٢ هـ . وحصل على بكالوريوس في التاريخ والتربية سنة ١٣٩٦ هـ بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى . حصل على الماجستير من نفس الجامعة بتقدير ممتاز في التاريخ الاسلامي . حصل على الدكتوراه بتقدير ممتاز عن موضوع تحقيق جزء من كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان . يعمل حاليا استاذا مساعداً بقسم التاريخ بكلية الشريعة ورئيسا للقسم .

بسم الله الرحمن الرحيم

# ملخص البحث

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد ـ فإن دراسة تاريخ دول تركستان وبلاد ما وراء النهر من الدراسات التي تستحق الاهتمام والتعمق . ولما كانت دولة القراخانيين من آل أفراسياب من أوائل الدول الإسلامية في تلك البقاع فان تاريخ هذه الدولة يكتنفه الغموض بسبب قلة المصادر الإسلامية من ناحية ، وتفرق أسرة القراخانيين في حكم منطقة جغرافية شاسعة من ناحية أخرى . ولذلك فان هذا العمل المتواضع يعتبر محاولة جادة في إعطاء صورة قريبة من الصحة عن هذه الدولة المتفرقة في كاشغر ، وبلاساغون ، وبخاري ، وسمرقند وطاشقند وغيرها .

وقد شدني لدراسة هذا الموضوع الرغبة في تعريف القارىء بدور القراخانيين في حماية الشرق الإسلامي من الموجات البشرية التركية الوثنية الزاحفة إلى الغرب ، ودعوة بعض هذه القبائل إلى الدخول في الإسلام مع ماكان لهذه الدولة من علاقات سياسية مع الدول الاسلامية الواقعة إلى الغرب من نهر جيحون واحترامهم لهيبة الخلافة العباسية ببغداد ، وبيان الدور الكبير المؤثر في مكافحة المذهب الاسماعيلي ، ومنع انتشاره بين قبائل الترك الداخلة حديثا في الاسلام ، والذي كان له الأثر الكبير في تعمق المذهب السني في نفوس الأتراك حتى يومنا هذا في تلك البلاد .

والله من وراء القصد

# علاقات القراخانيين بتركستان وبلاد ما وراء النهر بالدول الإسلامية المجاورة ، ودورهم في نشر الاسلام

## ( ٣٨٢ - ٤٨٢ هـ / ٩٩٢ - ١٠٨٩ م )

تعتبر تركستان الاسم الجامع لجميع بلاد الترك الواقعة بين بحر قزوين غربا إلى حدود جبال التبت ومنغوليا شرقا ، وتشتمل هذه البلاد على العديد من المدن المشهورة أهمها بخاري وسمرقند وطاشقند وخوقند وترمذ وكاشغر وختن ، وبلاساغون ، واسبيجاب ، وسكانها الأصليين في هذه الفترة من الأتراك التغزغز والكيماك ، والغز والخفشاق ، والقرغيز ، والقالوق وغيرهم(١) .

وتركستان حاليا تنقسم إلى تركستان الشرقية ( الصينية ) وتركستان الغربية ( الروسية ) والتي تضم حاليا عددا من الجمهوريات السوفيتية مثل قازاقستان ، وقرغزستان وتركمستان واوزبكستان وتاجيكستان وقره قالباق ، ومعظم سكان هذه الجمهوريات من المسلمين . وقد كانت هذه البلاد المصدر الذي لا ينضب من المحاربين المسلمين الذين كانوا يتدفقون إلى الغرب(٢) .

وبلاد ما وراء النهر هي البلاد الواقعة بين نهر سيحون من الشرق والمعروف باسم سيردريا ، ونهر جيحون من الغرب والمعروف باسم نهر آموديا ، وكانت بلاد ما وراء النهر من أخصب الأقاليم الإسلامية ، ومن أشهر اقاليمها ومدنها سمرقند ، وبخاري ، وجند ، وخجند ، وترمذ(٣) .

وتعتبر بلاد ماوراء النهر جزءا من تركستان الغربية التي تضم بعض جمهوريات الاتحاد السوفيتي مثل جمهورية اوزبكستان وتاجيكستان والتي يعتبر

---

(١) النرشخي ، تاريخ بخاري ، ص ١٩ ، حاشية رقم ٢ .
(٢) النرشخي ، تاريخ بخاري ، ص ١٩ ، حاشية رقم ٢ .
(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، حرف م ، ص ٤٥ ، وعن التعريف بهذه المدن انظر القزويني ، آثار البلاد ، ص ٥٥٧ .

معظم سكانها من المسلمين[1] . وقد فتحت هذه البلاد في القرن الأول الهجري إذ تمكن المسلمون بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي[2] من فتحها في حوالي سنة ٩٥ هـ ، وظلت بخاري وغيرها من بلاد ما وراء النهر تابعة للخلافة العباسية سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م ولكن الأمر لم يدم لهم طويلا ، فقد تمكن القراخانيون الأتراك من الاستيلاء على بخاري وسمرقند في أواخر القرن الرابع الهجري[3] .

والقراخانيون أو الأيلكخانيون الأتراك الذين حكموا ماوراء النهر وتركستان كانوا من قبائل التغزغز[4] الوثنية التي كانت قد تمكنت من القضاء على قبائل القارلوق[5] التركية . وبعد ساتوق بغراخان أول من أسلم من خانات هؤلاء الأتراك في سنة ٢٣٢ هـ وقد اقتفى رعاياه أثره في اعتناق الاسلام وأصبح الاسلام الدين الرسمي للدولة[6] .

---

(١) النرشخي ، تاريخ بخاري ، ص ٢٥ ، حاشية رقم (٣) .

(٢) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي ت ٩٦ هـ. انظر الزركلي ، الاعلام جـ ٥ ، ص ٢٨٩ .

(٣) النرشخي ، تاريخ بخاري ، ص ١١٠ ، فامبري ، تاريخ بخاري ، ص ٧٣ .

(٤) التغزغز : قوم من القبائل التركية التي استوطنت المنطقة الواقعة بين كاشغر وخوطان . انظر سعد الغامدي ، معركة قطوان ، مجلة العصور ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ، ص ٧٧ .

(٥) القارلوق أو القارغلية : قوم من القبائل التركية كانوا يستوطنون البلاد الواقعة الى الشرق من كاشغر وبلاساغون وقد استعان بهم ملك الخطأ أورخان ضد السلطان سنجر سنة ٥٣٦ هـ. انظر : الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ص ٣٥٢ . سعد الغامدي ، معركة قطوان ، مجلة العصور ، المجلد الثاني الجزء الأول ، ص ٧٦ .

(٦) بارتولد ، تركستان ، ص ٣٨٨ ، بارتولد ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ٧٦ ، ارنولد ، الدعوة إلى الاسلام ، ص ٣٤٥ .
وقد كانت وفاة ستوق بغراخان في سنة ٣٤٤ هـ. وقبره في قرية ارتيش شمال كاشغر . ان : ر بارتولد ، تاريخ الترك في اواسط آسيا ، ص ٧٦ .
وبغراخان : اسم يطلق على عدة أمراء من الأسرة الايلكخانية ، أو القراخانية في آسيا الوسطى . انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٤ ، ص ٢٤ ، مادة بغراخان .

ويذكر ابن الأثير أن أصل القراخانيين حكام كاشغر وبلاساغون وختن وطراز[1] وما يجاور بلاد ماوراء النهر أتراك مسلمون من نسل أفراسياب التركي ، وهم مختلفون ، وأن أول من اعتنق الاسلام منهم جدهم شبق خان . ورغم أن ابن الأثير يضفي على إسلام زعيم القراخانيين طابعا اسطوريا فإن الأمر الذي لا شك فيه أن الاسلام قد نفذ إلى قبائل الترك الوثنية منذ القرن الأول الهجري عن طريق احتكاك هذه القبائل بالبلاد المجاورة والتي وصلها الاسلام في وقت مبكر[2] .

ولما كانت بلاد ما وراء النهر قد خضعت للسامانيين الأتراك في بخاري وما حولها منذ سنة ٢٦١ هـ/ ٨٧٤ م فان هؤلاء كان لهم دور في نشر الاسلام بين قبائل الترك الوثنية ، سواء كان ذلك عن طريق الحملات العسكرية التي كان السامانيون يشنونها على بعض المدن التركية كمدينة اسبيجاب[3] وطراز وغيرها ،

---

(١) كاشغر : بلد من بلاد المشرق الواقعة باقليم تركستان . انظر ابن الأثير ، اللباب جـ ٣، ص ٧٦ .
بلاساغان : بلد من بلاد ثغور الترك إلى الشرق من نهر سيحون قريبة من كاشغر . المصدر السابق، جـ ١، ص ١٩١ .
ختن : بلد من بلاد الترك إلى الشرق من يوزكند قريبة من كاشغر . ابن الأثير. اللباب، جـ ١، ص ٤٢٢ .
طراز: مدينة على حدود بلاد الترك تجاور اسبيجاب. انظر المصدر السابق جـ ٢، ص ٢٧٦ .
وقد أشار المستشرق ليسترنج أن هذه المدن الواقعة على حدود الصين لم تذكر عنها المراجع الاسلامية أخباراً تنطوي على فائدة جغرافية ذات بال .
انظر : ليسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٣ ومابعدها .

(٢) ابن الأثير، الكامل، جـ ٩، ص ٢ ، والطابع الاسطوري الذي أورده ابن الأثير عن اسلام هذا الزعم جاء على النحو التالي: يقول ان شبق رأى في منامه كأن رجلا نزل من السماء فقال بالتركية مامعناه: أسلم تسلم في الدنيا والآخرة. فأسلم في منامه فلما أصبح أظهر إسلامه .

(٣) اسبيجاب : مدينة وقيل اقليم له قصبة كبيرة عندها ينتهي نهر سيحون وقد تغير اسمها بعد الغزو المغولي إلى سيرام . ذكرها العديد من الجغرافيين المسلمين وعرفوها بتعاريف مختلفة .
انظر: ليسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٢ ، ٥٢٠ ، ٥٢٧ .

أو عن طريق الحملات التي كان الأتراك القراخانيون يشنونها على بلاد ماوراء النهر . ففي سنة ٢٩١هـ/٩٠٤م شن القراخانيون حملة عسكرية على بلاد ما وراء النهر في عهد اسماعيل بن نوح[1] . ولكنه تمكن من صد هذه الحملة وغيرها من الحملات اللاحقة[2] . ولم يتوقف انتشار الاسلام بين العديد من قبائل الترك الوثنية في مناطق مختلفة من تركستان على هذا ، بل كان للتجار المسلمين الذين كانوا يصلون من تركستان إلى مدن الثغور الإسلامية دور كبير في نشر الاسلام بين أقوامهم ، ويضاف إلى هذا أنه ليس بمقدر العقائد الوثنية الصمود أمام عقيدة الوحدانية نظراً لما تحويه من عظمة وروعة . فضلا عن أن الشعوب التركية شعوب بدوية على الفطرة ، والاسلام كما هو معروف دين الفطرة السليمة وهو عقيدة واضحة سهلة تفهمها الشعوب البدوية بسهولة بعكس العقيدة النصرانية وما يكتنفها من آراء فلسفية يصعب على الانسان المثقف فهمها ناهيك عن الانسان البدوي البسيط ، لذلك لا عجب من انتشار الاسلام بسرعة كبيرة بين قبائل الترك الوثنية ولا عجب حينما نسمع أنه في سنة ٣٤٩ هـ/٩٦٠م قد أسلم من الأتراك مائتي ألف خركاه أي نحو مليون نسمة وهذا يعني أن سنة ٣٤٩ هـ كانت سنة حاسمة في تحول الشعوب التركية إلى الاسلام[3] .

وحول نشر الاسلام بين القبائل التركية الوثنية فان المستشرق الروسي بارتولد قد ذكر بأن الدعاة العرب المسلمين ورجال الطرق الصوفية كان لهم دور بارز في نشر الاسلام بين القبائل التركية ، ففي سنة ٣٨٠ هـ/٩٩٠م أو السنة التي قبلها وصل إلى بلاد الترك رجل عربي هو أبو الحسن سعيد بن حاتم الاسبانيكثي عمل على نشر الاسلام بتلك البلاد[4] .

---

(١) هو اسماعيل بن احمد الساماني حكم في الفترة من (٢٧٩ ـ ٢٩٥هـ) انظر حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، جـ٣، ص٧٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، جـ٦، ص ١٠٩، بارتولد، تركستان، ص ٣٩١، ستانلي بول، سلاطين الاسلام، ص ١٢٨، فامبري تاريخ بخاري، ص١٠٣ ـ ١٠٤.

(٣) مسكويه: تجارب الأمم، جـ٢، ص ١٨١، ابن الأثير الكامل، جـ٦، ص ٢٥٨. والخركاه : كلمة فارسية معناها الخيمة الكبيرة. انظر : ارنولد، الدعوة إلى الاسلام، ص ٢٤٥.

(٤) بارتولد، تركستان، ص٣٩٢. وأبو الحسن لم أقف له على ترجمة.

وكان القراخانيون في كاشغر وغيرها من مدن تركستان الشرقية يزمعون التوسع باتجاه الغرب نظرا لرغبتهم في الحصول على ما بأيدي المسلمين من خيرات أو لمجاورة المسلمين الذين عرفوا حسن معاملتهم عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يصلون إلى بلادهم ، ولذلك فقد قام زعيمهم بكاشغر وبلاساغون « شهاب الدين هارون بن سليمان »[1] المعروف باسم ايلك خان[2] بغراخان حفيد ستوق خان بحملة عسكرية سنة ٣٨٢ هـ/٩٩٢ م وغزا بخاري التي كانت تحت حكم السامانيين مستغلا في ذلك مساعدة بعض المعارضين السياسيين للحكم الساماني في بخاري ، وقد تمكن القراخانيون على اثر ذلك من الاستيلاء على مدينة بخاري ، وحتى لا يكسب القراخانيون عداء السكان الموالين للسامانيين ببلاد ما وراء النهر فقد ولى الآيلك خان على بخاري من قبله عبد العزيز بن نوح بن نصر الساماني في الوقت الذي لم تطب له الاقامة ببخاري فغادرها وبصحبته الوزير الساماني ابي علي محمد بن عيسى الدامغاني[3] ، إلا أن هذا الزعيم القراخاني قد داهمه المرض فتوفي قبل أن يصل إلى تركستان الشرقية[4] وقد وصف هذا الزعيم القراخاني بأنه كان ورعاً تقياً ، الأمر الذي جعل الفقهاء ورجال الدين يفتون بعدم حمل السلاح في وجوه القراخانيين بزعامته وذلك لأن

---

(١) ويقال له هارون بن موسى. كان قد تلبق بلقب شهاب الدولة، وظهير الدعوة، وهناك نقود مضروبه باسمه سنة ٣٨٢ هـ، منقوش عليها هذا اللقب، وكان يتخذ من بلاساغون عاصمة له، وهو أول من دخل حاضرة السامانيين بخاري من القراخانيين. انظر: دائرة المعارف الاسلامية جـ ٤، ص ٢٤.

وقد جاء اسمه في معجم الانساب لزمباور، ص ٣١٢، شهاب الدولة، أبو موسى هارون بغزاخان الثاني بن سليمان استولى على بخاري وفتح بلاد ماوراء النهر توفي في ربيع الأول سنة ٣٩٢ هـ.

(٢) وعن مصطلح ايلك خان، وبغراخان. انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ٣، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦، وجـ ٤، ص ٢٤ ـ ٢٦.

(٣) لم أقف لهذا الوزير على ترجمة.

(٤) الكرديزي : زين الاخبار، ص ٥٦ ـ ٥٨، ابن الأثير الكامل، جـ ٧، ص ١٦٠ ـ ١٦١، بارتولد، تركستان، ص ٣٩٧، فامبري، تاريخ بخاري، ص ١٢٠، وقد ذكر فامبري ان هذا الزعيم القراخاني هو أول من وحد الترك ولم شتاتهم.

انتصارهم يعد إنتصاراً للإسلام وللمذهب السني ، لما عُرف عن الأتراك بعامه من شدة ميلهم إلى الاسلام والحرص على التمسك به ، ولهذا وجد المعارضون للحكم الساماني في شخصه خير معين لهم ، أمثال أبو محمد عبد الله بن عثمان الواثقي الذي كان كغيره من الرجال الساخطين على الحكم الساماني الذي أثقل كاهل الرعايا في هذه الفترة بالضرائب والجبايات[1] وقد كان لهذه الخطوة من جانب القراخانيين أثرها على حكم السامانيين ببخاري فقد تمكن كل من أبي علي السيمجوري صاحب خراسان وفائق صاحب هراة من الاعتداء على السامانيين الأمر الذي حمل زعيم السامانيين على الاستنجاد بسبكتكين[2] والي غزنة ، وبعد مناوشات تمكن الزعيم الساماني نوح بن منصور[3] وسبكتكين من اخراج خصومهما من بخاري والعودة اليها ، ولم تأت سنة ٣٨٥ هـ/٥٩٥ م حتى تمكن الزعيم الساماني من القضاء على خصومه والاستقرار ببخاري « دار ملكه وملك آبائه »[4] .

وعلى الرغم من أن زعيم القراخانيين لم يستقر طويلا في بخاري بعد حملة سنة ٣٨٢ هـ/٩٩٢ م فان هذه الحملة قد فتحت للقراخانيين الطريق إلى بلاد ماوراء النهر، فبعد وفاة بغراخان سنة ٣٨٤ هـ/٩٩٤ م تولى أمر الترك القراخانيين الأيلك[5] شمس الدين أبو نصر أحمد بن علي فقام، في سنة ٣٨٦ هـ/٩٩٤ م بحملة عسكرية لتدعيم مركز القراخانيين في بلاد ما وراء النهر ، فما كان من زعيم

---

(١) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ١٦١، بارتولد، تركستان، ص ٣٩٥.
(٢) سبكتكين هو سبكتكين بن السبتكين مؤسس الدولة الغزنوية. ولى غزنة في الفترة من (٣٦٦ - ٣٨٧ هـ) .
انظر: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، جـ٣، ص ٨٥.
(٣) هو نوح الثاني بن منصور حكم الدولة السامانية في الفترة من (٣٦٦ - ٣٨٧ هـ) انظر المرجع السابق نفس الجزء ، ص ٧٩، وكذلك زامباور، معجم الأنساب، ص ٣٠٦ .
(٤) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ١٦١ - ١٦٩ أنظر ابن خلدون ، ، العبر، جـ ٤، ص ٤٦٧ .
(٥) عن التعريف بلقب الأيلك ، انظر : سعد بن حذيفة ، معركة قطوان مجلة العصور، المجلد الثاني، الجزء الأول، ١٩٨٧ ، ص ٧٧، حاشية رقم (١٤) .

السامانيين إلا أن طلب المساعدة من سبكتكين صاحب غزنة فأمده بقوة عسكرية، ولكن الزعيم الساماني وتحت ضغوط الكثيرين من رجاله طلب من سبكتكين عدم إرسال النجدة التي طلبها والتي كانت تحت قيادة ابنه محمود بن سبكتكين ، إلا أن محمود لم يصغ إلى هذا وتوجه إلى بخاري ، وهناك جرى بينه وبين القراخانيين صلح تم بموجبه أن تكون صحراء قطوان حداً فاصلاً بين أملاك القراخانيين والسامانيين(١) ولكن الايلك خان لم يتقيد بهذا الاتفاق واستغل وفاة الزعيم الساماني نوح بن منصور سنة ٣٨٧ هـ/٩٩٧ م فقام بحملة عسكرية تمكن بها من الاستيلاء على سمرقند ذلك أن ابنه أبو الحارث منصور بن نوح(٢) كان صغيراً ووقع فريسة لأحد رجال الدولة الحاقدين المسمى بكتوزن حيث خلعه وأجلس مكانه أخاه أبو الفوارس عبد الملك بن نوح(٣) . ولما كان القراخانيون قد أصبح لهم موطيء قدم في بلاد ما وراء النهر فانهم حينما سمعوا بهذه الأحداث وتدخل بعض العناصر في شئون السامانيين فان ايلك خان لم يترك هذه الفرصة تفوته فسار في جمع من الأتراك إلى بخاري وأظهر لعبد الملك المودة والموالاة والحمية فظنوه صادقاً ولم يحترسوا منه فدخل بخاري في شهر القعدة سنة ٣٨٩ هـ/٩٩٨م وبدخوله هذه المدينة في هذه السنة انقضت دولة السامانيين على يده « كأن لم تغن

---

(١) بارتولد، تركستان ص ٤٠١ . وقطوان: قرية من قرى سمرقند على خمسة فراسخ منها وفي قطوان وقعت المعركة التي سميت باسمها بين السلطان سنجر بن ملكشاه وبين قبائل الخطا سنة ٥٣٦ هـ والتي قتل فيها أكثر من سبعين ألف من المسلمين، عن التعريف بقطوان: انظر: ياقوت: معجم البلدان، حرف ق ص ٣٧٥. وعن موقعة قطوان انظر سعد الغامدي، معركة قطوان سنة ٥٣٦ هـ .
مقال في مجلة العصور، المجلد الثاني، الجزء الأول ص ٧٥ ومابعدها .

(٢) امضى في حكم الدولة السامانية سنة وسبعة أشهر عقب وفاة والده. وقد سمل بكتوزن عينيه، انظر : حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام جـ٣ ص ٨١، زامباور، معجم انساب ص ٣٠٦ حاشية رقم ٣ .

(٣) أحد سلاطين الدولة السامانية، كان زعيم القراخانيين قد وضعه وبعض أفراد أسرته بالحبس في مدينة بخاري. المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة .
ويحدد زامباور سنة أسره بقوله : ان ايلك خان أسره في ١٠ ذو القعدة سنة ٤٨٩ هـ .

بالأمس كدأب الدول التي قبلها إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب »[1] .

هكذا تمكن القراخانيون من الاستيلاء على بخاري عاصمة السامانيين وجعلوا عليها واليا من قبلهم هو جعفر تكين، إلا أن أمرهم لم يستتب في هذه الفترة فقد تمكن المنتصر أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح الساماني[2] من الهرب من سجن القراخانيين سنة ٣٩٠ هـ/٩٩٦ م ووصل إلى خراسان، وبمساعدة بعض أعوانه تمكن من الانتصار على القراخانيين في بخاري وأخرج منها الوالي جعفر تكين، ولم يقف عند هذا، بل سار إلى سمرقند بقصد استعادتها، ولكن خصومه تمكنوا من منعه من دخولها فعاد إلى بخاري ودخلها « فاستبشر أهلها بعود السامانية »[3] ولكن القراخانيين بزعامة شمس الدولة أبو نصر تمكنوا من اخراج المنتصر من بخاري فتوجه واتباعه الى نيسابور التي كان فيها نصر بن سكبتكين[4] . ولما كان نصر على غير وفاق مع أخيه محمود بن سبكتكين فان مقام المنتصر وأتباعه في نيسابور لم تطل حيث أجبرهم محمود بن سبكتكين على مغادرتها فتوجهوا إلى خراسان والري في سنة ٣٩١ هـ/ ١٠٠٠ م[5] .

ظل المنتصر الساماني يتنقل بين مدن خراسان والري وغيرها حتى كانت سنة ٣٩٣ هـ/١٠٠٢ م ففي هذه السنة وجد المنتصر ضالته في قبائل الغز التركية التي

---

(١) الكرديزي، زين الاخبار ص ٦٥، ٦٦، أنظر ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ١٧٤ ـ ١٩٧، ابن خلدون، العبر، جـ ٤ ص ٤٧١، ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب جـ٣، ص ٢٢٠ ، فامبري، تاريخ بخاري، ص ١٢٣ .
والآية القرآنية التي اقتبس منها هذا النص هي ﴿ **لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب** ﴾ من سورة يوسف الآية رقم ١١١ .

(٢) قتل سنة ٣٩٥ هـ . وقد ذكر زامباور انه ضرب ببخاري فلس باسمه سنة ٣٩٠ هـ انظر : زامباور، معجم الأنساب، ص ٣٠٦ .

(٣) ابن الأثير، الكامل جـ٧، ص ١٩٧، ٢٠٤ ـ ٢٠٥. وانظر : بارتولد، تاريخ تركستان، ص ٤٠٧ .

(٤) ورد اسمه في معجم الأنساب والأسرات الحاكمة باسم نصر كان واليا على خراسان سنة ٣٨٩ هـ .
زامباور، معجم الأنساب ص ٤١٧ حاشية رقم ٣ .

(٥) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ٢٠٤ .

يعود إليها أصل السلاجقة والتي كانت تكره القراخانيين فشجعته على منازلة القراخانيين فسار في هذه السنة حتى وصل بخاري ومنها الى سمرقند ومال اليه بعض أهل هذه القبائل ، غير أن زعيم القراخانيين عندما سمع بهذه التحركات جمع الأتراك وسار بهم لملاقاة الزعيم الساماني، وفي نواحي سمرقند تقابل الطرفان وبعد معركة غير متكافئة وقعت الهزيمة على القراخانيين إلا أن هذا النصر للسامانيين كان بمثابة ومضات متقطعة صدرت عن شمس السامانيين الغاربة فقد جمع زعيم القراخانيين الأيلك خان وحشد وعاد الى المنتصر فوافق عودة تراجع الغزية فوقعت الهزيمة على المنتصر قرب أُشْرُوسَنَه[1] مما أجبره على الهرب إلى خراسان حيث تمكن أحد زعماء العرب في مرو من قتله والتخلص منه سنة ٣٩٥ هـ/١٠٠٤ م[2] .

وبالقضاء على قوة المنتصر في آسيا الوسطى ( بلاد ماوراء النهر ) وقتله في خراسان فانه لم يبق سوى اقتسامها من قبل القراخانيين حكام تركستان وبلاد ماوراء النهر ومحمود بن سبكتكين الذي كان قد تمكن سنة ٣٨٩ هـ/٩٩٨ م من اعلان قيام الدولة الغزنوية والذي كان قد عقد اتفاقية مع القراخانيين سنة ٣٨٦ هـ/٩٩٦ م في عهد والده سبكتكين تلك المعاهدة التي نصت على أن تكون صحراء قطوان حداً فاصلا بينهم وبين السامانيين[3] .

أدرك القراخانيون خطر السلطان محمود الغزنوي في خراسان والأجزاء الغربية من بلاد ماوراء النهر، ولهذا فقد سعى زعيم القراخانيين الايلك خان إلى

---

(١) أُشْرَوْسَنَة : بلدة كبيرة في هذه الفترة تقع ببلاد ما وراء النهر بين سيحون وسمرقند. ياقوت، معجم البلدان، جـ١، ص ١٩٧ .

(٢) الكرديزي، زين الأخبار ص ٧٢ ـ ٧٣، ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ٢٠٥ ، بارتولد، تركستان، ص ٤٠٨ ، فامبري، تاريخ بخاري، ص ١٢٤ .
وعن أصل الغز السلاجقة : انظر كتاب: تاريخ ابن العبري، لابن العبري باللغة التركية، جـ١ ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .
وقد اعتمدت في ترجمة الصفحات المذكورة على الاستاذ الدكتور عابد شار بمركز البحث العلمي بمكة المكرمة .

(٣) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ٢٠٥ ، بارتولد، تاريخ تركستان، ص ٤٠١ ، ٤٠٨ .

مصاهرته ومصالحته ، « فلم تزل السعاة بينهما حتى أفسدوا ذات بينهما » وأظهر شمس الدولة ايلك خان أطماعه التوسعية في أملاك الغزنويين في خراسان وجهز حملة عسكرية سنة ٣٩٦ هـ/١٠٠٥ م مستغلا ابتعاد السلطان محمود الغزنوي بالهند[١] . وجعل على قيادتها جعفر تكين وسباشي تكين وأمرهما بالتوجه إلى بلخ ونيسابور، وبعد حروب ومناوشات تمكن قادة القراخانيين من الاستيلاء على بعض أملاك الغزنويين ولكن السلطان محمود عندما سمع بهذا الأمر عاد أدراجه من الهند وتوجه لمقابلة القراخانيين وتمكن من طردهم من بلخ ونيسابور وهراة وغيرها من البلاد التي وقعت في أيديهم[٢] .

أدت هزيمة السلطان محمود الغزنوي للقراخانيين وطردهم من بعض مدن خراسان إلى أن إيلك خان[٣] في السنة التالية ٣٩٧ هـ/١٠٠٦ م استنجد بملك الخُتَّل القراخاني قدرخان يوسف بن بغراخان[٤] لقرابة بينهما فقام باستنفار الترك ، من أقاصي بلادها « وساروا إلى خراسان ، فلما بلغ ذلك يمين الدولة محمود بن سبكتكين وهو بطخارستان سار وسبقهم إلى بلخ واستعد للحرب بعد أن انضم اليه كثير من الأتراك الغزية والأفغان والغزنوية، وبعد معارك طاحنة بين الطرفين تمكن السلطان محمود من دحر القراخانيين وأجبرهم على عبور جيحون إلى الشرق وتبعهم أصحاب يمين الدولة يقتلون ويأسرون ويغنمون » وقد أكثر الشعراء من

(١) كان السلطان الغزنوي قد توجه الى الهند للقضاء على القرامطة الذين كانوا قد استولوا في هذه السنة على مدينة الملتان. انظر: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، جـ ٤ ص ٢٥٨ ، أحمد الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ص ٨٠ ـ ٨١ .

(٢) العتبي ، تاريخ يميني، جـ ١ ، ص ٣٧٤، ابن الأثير، الكامل، جـ ٧ ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ، ابن خلدون، العبر، جـ ٤، ص ٥١٤، عصام عبدالرؤوف، الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص ١٠٥ .
وعن بلخ ونيسابور انظر التعريف عنهما في ياقوت ، معجم البلدان حسب الحروف .

(٣) جاء اسمه في زامباور معجم الأنساب ان اسمه نور الدولة أبو حفظ أرسلان خان الأول ايلك بن علي، ظل حتى سنة ٤١٣ هـ . زامباور، معجم الأنساب ص ٣١٢ .

(٤) جاء في الحاشية رقم (١) في الكامل لابن الأثير، ج ٧، ص ٢٣١ ، أنه توفي سنة ٤٠٤ هـ، وكان مقر حكمه في كاشغر. أما في معجم زامباور فقد ذكر أنه توفي سنة ٤٢٣ هـ . انظر زامباور، معجم الأنساب، ص ٣١٢، حاشية رقم (٧) .

مدح السلطان محمود عقب هذه الواقعة(١) .

أدت هزيمة السلطان محمود الغزنوي للقراخانيين ودحرهم عن خراسان إلى تفكيك وحدتهم إذ وضعت حداً لتحركاتهم تجاه خراسان وحالت بينهم وبين العمل الموحد ضد الغزنويين مؤقتا(٢) وقام النزاع بين ايلك خان شمس الدولة نصر بن أحمد ببلاساغون وأخوه طغان خان حاكم كاشغر فالأخير لم يكن راضياً عن أطماع أخيه وتوسعاته في أراضي خراسان ولم يقف الأمر عند هذا بل بعث إلى السلطان محمود الغزنوي برسالة يعتذر فيها عما بدر من أخيه إيلك خان وأنه على استعداد للعمل معه ضد ايلك خان صاحب بلاساغون شمس الدولة نصر بن أحمد، ولكن إيلك خان الذي شعر بحرج موقفه بين الطرفين بادر إلى غزو أخيه طغان في سنة ٤٠١ هـ/١٠١٠ م إلا أن سوء الأحوال الجوية في تلك السنة حالت دون تحقيق أطماعه ضد أخيه طغان خان(٣) .

أما السلطان محمود الغزنوي فانه على أثر ذلك قد أنتهز فرصة انشغال القرخانيين فيما بينهم وقام بحملة تأديبية إلى قُصْدَار تمكن بواسطتها إجبار الوالي على هذه البلدة دفع مبلغ كبير من المال «وأقره على ولايته وعاد»(٤) .

كان السلطان محمود الغزنوي قد أطمأن إلى أن النزاع الذي قام بين القراخانيين سيحول على طول الوقت من اتحادهم ضده إلا أنه فوجيء في سنة ٤٠٣ هـ/١٠١٢ م باتحاد قدرخان بن بفراخان وطغا خان صاحب كاشغر مع ايلك خان ضده في حملة عسكرية استهدفوا من ورائها الاستيلاء على خراسان ،

---

(١) ابن الأثير، الكامل، جـ ٧، ص ٢٣١ - ٢٣٢ انظر كذلك ابن خلدون، العبر، جـ ٤، ص ٤٨٢، ٥١٤، وقد أورد ابن خلدون وصفا مسهبا للمعارك التي دارت بين الطرفين . وطخارستان : ولاية واسعة تشمل عدة ولايات ومنها طخارستان العليا والسفلى غرب جيحون وأكبر مدنها الطالقان. انظر ياقوت، معجم البلدان، ص ٢٣ حرف ط .

(٢) بارتولد: تركستان، ص ٤١٣ .

(٣) ابن الأثير، الكامل، جـ ٧، ص ٢٥٣، ابن خلدون، العبر، جـ ٤ ص ٤٨٥، بارتولد، تركستان ، ص ٤١٣ .

(٤) ابن الأثير، الكامل جـ ٧، ص ٢٦٨ .

وقُصَدَار: بلدة مشهورة قرب غزنة من بلاد الهند، ياقوت، معجم البلدان ، ص ٣٥٣ .

إلا أن هذه الحملة لم تحقق ماكان ايلك خان يهدف إليه بسبب وفاته هذه السنة[1].

أدت وفاة إيلك خان وتولي أمر القراخانيين طغاخان إلى إنفراج في العلاقات بين القراخانيين والغزنويين إذ قام طغان خان وبعث برسالة إلى السلطان محمود الغزنوي عبر فيها عن رغبته بتحسن العلاقات بين الطرفين والانصراف إلى الجهاد في سبيل الله وقال: « المصلحة للاسلام والمسلمين أن تشتغل أنت بغزو الهند وأشتغل أنا بغزو الترك وأن يترك بعضنا بعضا فوافق ذلك هواه فأجابه إليه وزال الخلاف واشتغلا بغزو الكفار »[2].

عقب هذه الرسالة لم تشهد السنوات الخمس التالية حدوث تصدع في العلاقات القراخانية الغزنوية وانشغل كل منهما بما أمامه من المشاكل فالقراخانيون في تركستان وبلاد ما وراء النهر انشغلوا بمشاكلهم الداخلية، أما السلطان محمود فقد انشغل بالسيطرة على اقليم خوارزم الذي لقي من أصحابه ـ أبو العباس المأمون بن المأمون وأبو الحارث محمد بن علي بن مأمون[3] كل متاعب ومشاق، وتمكن في سنة ٤٠٨ هـ/١٠١٧ م من الاستيلاء على هذا الاقليم وعين عليه حاجبه الأكبر آلتونتاش وترك معه فرقة عسكرية كبيرة[4].

أما القراخانيون في بلاد تركستان وبلاد ماوراء النهر فانهم قد تعرضوا سنة ٤٠٨ هـ/١٠١٧ م لهجمة بشرية من قبائل الترك الوثنية استهدفت الاستيلاء على بلاساغون إلا أن طغان خان ـ على الرغم من كبر سنه وأصابته بالمرض ـ تمكن من

(١) ابن الأثير، الكامل جـ ٧، ص ٢٦٨، ابن خلدون، العبر جـ٤ ص ٥١٥، وقد وصف ابن الأثير ايلك خان وقال: بأنه كان خيراً عادلا حسن السيرة محبا للعدل وأهله، معظما للعلم وأهله محسنا إليهم.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٢٦٨.

(٣) جاء في معجم الأنساب لزامبادي، ص ٣١٦، أن الأول كانت وفاته سنة ٣٩٠ هـ والثاني سنة ٤٠٧ هـ.

(٤) البيهقي، تاريخ بيهق، ص ٧٤٥، الكرديزي، زين الأخبار، ص ٨٣، والمصدر الأخير ذكر أن الحملة كانت سنة ٤٠٧ هـ. وألتون تاش كان كبير حجاب السلطان محمود الغزنوي. انظر زامباور، معجم الأنساب، ص ٣١٦.

صد هؤلاء القوم عن بلاده بعد أن استعان بجيش يقدر عدده بمائة ألف فارس تمكن من دحرهم واعادتهم على أعقابهم إلى الشرق « وعاد هو إلى بلا ساغون فلما بلغها عاوده مرضه فمات »[1] .

وهكذا تمكن القراخانيون من حماية الشرق الإسلامي من الموجات البشرية الوثنية التي كانت تستهدف اجتياح بلاد المسلمين والقضاء عليهم ويحتمل أنه لولا الصلح الذي كان قد تم بين القراخانيين والغزنويين لما قدر للقراخانيين حماية حدودهم الشرقية .

كانت فترة حكم طغان خان صاحب كاشغر للقراخانيين (٤٠٣ ـ ٤٠٨ هـ) قد شهدت تحسناً في العلاقات مع الغزنويين في خراسان وانصرف كل من الطرفين إلى معالجة أموره الخاصة إلا أن أمر القراخانيين بعد وفاة شرف الدولة طغان خان[2] قد تغيرت فقد تولى أمرهم أخوه أبو المظفر أرسلان خان أبو منصور محمد بن علي الأصم[3] المعروف عند ابن الأثير باسم شرف الدولة وخرج عليه سنة ٤٠٩ هـ/١٠١٨ م صاحب سمرقند هارون بن سليمان القراخاني واستولى على بخاري ولم يقف الأمر عند هذا بل عمد إلى الاستعانة بيمين الدولة السلطان محمود الغزنوي ضد أرسلان خان، وقد وجد السلطان محمود في ذلك فرصة مواتية لعبور جيحون ومحاربة القراخانيين فأعد جسراً من السفن على النهر وعبر إلى الجانب الشرقي، ولكن السلطان محمود عقب عبوره النهر خاف أن تكون الاستعانة به من قبل صاحب سمرقند إنما هي مكيدة مدبرة له من الأتراك

---

(١) ابن الأثير، الكامل ج ٧، ص ٢٩٦ انظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص ٣١٢؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٤٨٧، ٥١٥، وكان ابن الأثير، وابن العبري قد قدرا أن قبائل الترك الوثنية كانت تقدر بـ ٣٠٠ ألف خركاه وقد أورد ابن خلدون أن طغان خان وجيشه قد قتلوا من هؤلاء الترك مائة ألف وأسروا مثل هذا العدد .

(٢) يؤيد زامباور في معجمه ص ٣١٢ ماذكره ابن الأثير .

(٣) جاء في معجم الأنساب لزامباور ص ٣١٢ أن اسمه نور الدين أبو المظفر أرسلان خان الأول إيلك بن علي ظل يحكم حتى سنة ٤١٣ هـ .
وقد خلط زامباور فأورد في التسلسل أن الملك المنصور محمد بن علي لم يكن هو أبو المظفر أرسلان خان .

القراخانيين فعاد إلى بلاده[1] .

ومما يؤيد مخاوف السلطان محمود من أن الاستنجاد به ضد أرسلان إنما كان الهدف منه الايقاع به شرق جيحون هو أن قدرخان اصطلح مع صاحبه أرسلان خان عقب عودة السلطان محمود إلى خراسان، ولم يقف عقد هذا الصلح عند حد حسم المنازعات الداخلية بينهما في بلاد ماوراء النهر بل تعدى ذلك إلى أنهما اتفقا على مهاجمة الغزنويين في خراسان فقاما في سنة ٤١٠ هـ/١٠١٩ م بحملة عسكرية استهدفا بها الاستيلاء على بعض مدن خراسان إلا أن السلطان محمود تمكن من هزيمتهما وأجبرهما على العودة إلى بلادهم، وكان من غرق من رجالهم أكثر ممن نجا[2] .

ولما لما يحقق القراخانيون في بلاد اوراء النهر وتركستان أطماعهم بالاستيلاء على خراسان من السلطان محمود الغزنوي فانهم في الفترة التالية لم يقوموا بمحاولات أخرى لغزو هذا الاقليم . ولم يقفوا عند هذا الحد بل لقد أصغوا إلى طلب المصاهرة التي كان السلطان محمود قد طلبها من زعيمهم أرسلان خان بتزويج احدى كريماته لابنه مسعود بن محمود الذي كان والياً على هراة ليجعل بينهم وبين ابنه صداقة وود[3] .

أدى تحسن العلاقات بين القراخانيين أنفسهم وبينهم وبين الغزنويين إلى أن صاحب كاشغر وبلاساغون قدرخان بن بغراخان القراخاني قام بالتوغل داخل

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٢٩٦ انظر ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٥١٥ .
(٢) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٥١٦.
(٣) نفس المصدر والجزء ، ص ٤٨٧ . وانظر ايضا : بارتولد، تركستان ص ٤١٩ ـ ٤٢٠
وهراة : مدينة عظيمة من امهات مدن خراسان، مشهورة بجمالها الطبيعي خربها المغول سنة ٦١٨ هـ، ياقوت، معجم البلدان ص ٣٩٦ حرف هـ .
والسلطان محمود الغزنوي كان قد ولي ابنه مسعود على هراة، وعهد اليه بولاية العهد سنة ٤٠٦ هـ/١٠١٦ م إلا أنه عدل عن ذلك بسبب الوشاة، إلا أن نفسه طابت على ابنه وعفى عنه وأعاده إلى هراة دون ولاية العهد .
أنظر : أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص ٩١، نقلا عن البيهقي، تاريخ بيهق .

أراضي اسيا الوسطى حيث تمكن من الاستيلاء على مدينة ختن الواقعة بين الصين وتركستان[1] .

وفي ظل الظروف التي انصرف فيها القراخانيون إلى الاهتمام بصد هجمات الأتراك الوثنيين بالشرق فإن أحد رجال القراخانيين المسمى على تكين[2] تمكن من الهرب من سجن أرسلان خان وتوجه إلى بخاري وتمكن من اخضاعها والسيطرة عليها إلا أن سيرته ساءت في أهلها الأمر الذي حملهم على الاستنجاد بالسلطان محمود الغزنوي، وافق هذا الاستنجاد رغبة من السلطان محمود للعودة إلى بلاد ماوراء النهر التي كان قد وصلها سنة ٤٠٨ هـ/١٠١٧ م ولم يقف الأمر عند حد هذه الرغبة من قبل السلطان محمود بل إن هذه الرغبة قد وافقت رغبة قدرخان بن بغراخان صاحب تركستان لاخضاع هذا الخارج ببخاري وسمرقند، فما كان من السلطان محمود إلا أن جهزة حملة عسكرية سنة ٤١٥ هـ/١٠٢٤ م وتوجه بها إلى ماوراء النهر ووضع عن المسلمين ماكانوا يعانونه من على تكين[3] .

أدت هذه الحملة على ما يبدو إلى أن أصبح السلطان محمود الغزنوي سيد الموقف في الشرق وامتدت هيبته على بلاد ما وراء النهر وخوارزم ، الأمر الذي حمل قدرخان بن بغراخان على القدوم إلى معسكر السلطان محمود، وقبله كان قد حضر ملك الصاغنيان[4] وصاحب خوارزم ، وقد قدم جميعهم فروض الطاعة للسلطان محمود ، وحتى يظهر السلطان محمود بمظهر البطل ـ وانه سيد الموقف في

---

(١) ابن الأثير ، الكامل، ج ٧ ص ٢٩٦ ، ابن خلدون، العبر، ج ٤ ص ٥١٦ .
وختن : بلد دون كاشغر تعد من بلاد تركستان في واد بين جبال في وسط بلاد الترك . ياقوت، معجم البلدان ص ٣٤٧ حرف خ .

(٢) علي تكين: لم أقف له على ترجمة. ولم أجد له في معجم الأنساب لزمباور مايدل على أنه ممن حكم في بخاري أو غيرها من المدن .

(٣) الكرديزي : زين الأخبار، ص ٩١ـ٩٢، البيهقي، تاريخ بيهق ص ٢٢٧ ، عبد النعيم حسنين سلاجقة ايراه والعراق ، ص ٢٣ . وقد ذكر البيهقي أن الحملة كانت سنة ٤١٤ هـ .

(٤) صغانيان : ولاية عظيمة ببلاد ماوراء النهر، قرب ترمذ، خرج منها عدد من العلماء والصالحين . انظر : ياقوت ، معجم البلدان، حرف ص ، ص ٤٠٨ .

كامل المشرق ـ أمام قدرخان وغيره من الحكام فقد قام بتعقب على تكين وأسرته[١] .

وهنا نتساءل هل ترتب على حملة السلطان محمود إلى بلاد ماوراء النهر غير هذا أم لا ؟ وللإجابة على ذلك نقول : لقد ترتب عليها عدة نتائج أهمها : اتفاق السلطان محمود وقدرخان على تولية بغان تكين الابن الثاني لقدرخان على بلاد ماوراء النهر ، كما تمكن قدرخان في هذه الظروف من انتزاع بلاساغون من يد طغان تكين أخي علي تكين هذا من جانب القراخانيين أما السلطان محمود الغزنوي فإلى جانب هيبته ومكانته عند حكام المشرق فانه حصل في سنة ٤١٧ هـ/١٠٢٦ م من الخلافة العباسية[٢] على تقليد رسمي بما تحت يده من الأراضي التي تم فتحها ، وزيادة في ألقابه وألقاب أولاده[٣] .

ولما كانت جهود السلطان محمود في ايران قد خدمت العباسيين ـ لا في اضعاف نفوذ البويهيين بل وفي عدم الاستجابة للفاطميين[٤] ـ . فقد طلب منهم عدم الاتصال بالقراخانيين في تركستان وبلاد ماوراء النهر إلا عن طريقه . وبما أن هذا الطلب يمثل احراجا للخلافة العباسية فلا يستبعد أن يكون هذا الطلب قد بعثه السلطان محمود مع رسوله الذي أرسله سنة ٤١٦ هـ/١٠٢٥ م ومعه الخلع والهدايا التي كان الخليفة الفاطمي لاعزاز[٥] دين الله قد بعث بها اليه بقصد

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٢٢٧ ، بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ٨٦ .

(٢) كان الخليفة العباسي في هذه الفترة هو أبو العباس أحمد بن أبي اسحق المتقي ، في عهده عظم أمر البويهيين في ايران والعراق فاستعان عليهم بالسلطان محمود الغزنوي الذي ظلي العديد من الروافض والزنادقة وفي عهده فتحت الهند. انظر: ابن دقماق ، الجوهر الثمين، ص ١٥٢ .

(٣) الكرديزي : زين الأخبار، ص ٩٥ ـ ٩٩، بارتولد، تركستان، ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨ .

(٤) كان السلطان محمود قد تلقى من صاحب مصر طلبا باقامة الدعوة الاسماعيلية في المشرق إلا أن السلطان محمود قد أمر الرسول وقتل .
انظر : الكرديزي ، زين الاخبار، ص ٨٠ .

(٥) هو الظاهر لاعزاز دين الله (٤٠٠ ـ ٤٢٨ هـ) السيوطي، تاريخ الخلفاء ص ٥٢٤ .

استمالته وعدم التعرض للدعاة الاسماعيلية بالمشرق وكان السلطان محمود الغزنوي يقصد من وراء ذلك التوضيح للخليفة العباسي أنه لن يقبل اقامة الدعوة للفاطميين ببلاده، ولهذا يجب عليه عدم الاتصال بالقراخانيين الا عن طريقه[1].

ولما كان من ضمن نتائج حملة السلطان محمود الغزنوي على بلاد ماوراء النهر تمكين بغان تكين بن قدرخان من بلاد ماوراء النهر واتمام المصاهرة بينهما، إلا أن السلطان محمود انشغل في أواخر سنة ٤١٦ هـ/١٠٢٥ م بغزو الهند في الوقت الذي لم يكن يرغب في القضاء على علي تكين الذي تمكن من العودة إلى بخاري وسمرقند حتى لايقوى جانب القراخانيين وليظل خانات كاشغر وبلاساغون في حاجة اليه[2].

ظلت أمور تركستان وبلاد ماوراء النهر على علاقة طيبة بالسلطان محمود الغزنوي حتى كانت سنة ٤٢١ هـ/١٠٣٠ م إذ توفى السلطان محمود في هذه السنة وآل أمر الغزنويين إلى ابنه محمد، الأمر الذي أدى إلى توتر العلاقات بين الغزنويين والقراخانيين إلا أن فترة حكم محمد للغزنويين لم تطل فتولى الأمر بعده أخوه السلطان مسعود بن محمود (٤٢٢ ـ ٤٣٢ هـ/١٠٣١ ـ ١٠٤٠م وعلى الرغم من أن جميع ملوك الأطراف كبيرهم وصغيرهم قد أرسلوا لمسعود بالتهنئة والاعتراف بسلطانه إلا أن القراخانيين لم يسلكوا هذا المسلك وإن دل هذا على شيء فانما يدل على عدم رضاهم عن سياسة والده في بلاد ماوراء النهر بالاضافة إلى امتعاض القراخانيين من طلب المساعدة التي كان السلطان مسعود قد طلبها من علي تكين ضد أخيه محمد قبل أن يتولى سلطة الغزنويين[3].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤، بارتولد، تركستان، ص ٤٢٨.

(٢) العتبي، تاريخ اليميني، ج ٢، ص ٣٠١ ـ ٣٠٧، أبو الغداء، المختصر ج ٢ ص ١٥٥، بارتولد، تركستان، ص ٤٢٨، ومابعدها، وللمزيد عن حملة السلطان محمود على الهند سنة ٤١٦ هـ انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٣٢٠ ومابعدها.

(٣) الكرديزي، زين الاخبار، ص ١٠٤، ابن الأثير الكامل، ج ٧، ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص ٣١٥، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج ٣، ص ٢٢٠، بارتولد، تركستان، ص ٤٢٨.

ولما كان القاراخانيون في بلاد ما وراء النهر وتركستان يمثلون الحصن المنيع لحماية الدولة الغزنوية من هجمات القبائل التركية الوثنية فان صاحب خوارزم آلتونتاش الذي أعلن ولاءه للسلطان مسعود قد أسدى الى هذا السلطان نصيحة طيبة للتعامل مع القراخانيين اذ أوصاه بتحسين علاقاته بقدرخان في الوقت الذي كان قد حذره من التعامل مع علي تكين واصفا إياهم بأنهم « ليسوا أحباء ، ولكن مجاملتهم واجبة كيلا يركنوا إلى الفساد ، أما علي تكين فانه عدو لدود، وهو كالثعبان الأبتر »[1] .

أصغى السلطان مسعود الغزنوي إلى نصيحة صاحب خوارزم في حسن التعامل مع القراخانيين، ولما كان يرغب في التخلص من كبار رجال والده أمثال صاحب خوارزم فقد طلب من آلتونتاش التوجه إلى بلاد ماوراء النهر لمحاربة علي تكين في بخاري وتمكين بغان تكين من السيطرة على هذه البلاد وقد تمكن آلتونتاش من دخول بخاري واخرج منها علي تكين وقدم له الأهالي فروض الطاعة والولاء ، ولكن آلتونتاش لم ينعم بهذا النصر الذي حققه على علي تكين فقد أصيب بجروح بليغة أجبرته على التراجع إلى خوارزم في الوقت الذي عاد فيه علي تكين إلى بخاري، وعمل على التقارب مع القراخانيين في تركستان[2] .

أدرك السلطان مسعود مدى ما للقراخانيين من أهمية قصوى ومايشكلونه من خطر جسيم على مناطق نفوذه في خراسان وخصوصا على تكين وأولاده في بلاد ماوراء النهر. والذين كانوا قد سعوا إلى التقرب مع اخوانهم في كاشغر وبلاساغون، ولما كان السلطان الغزنوي قد سار على سياسة والده في الاهتمام بمواصلة الغزوات والفتوحات في بلاد الهند فقد وجد أن خير وسيلة لتفادي التصادم مع القراخانيين هي التقرب اليهم ومصاهرتهم فما كان منه إلا أن بعث بوفد من خيرة رجاله مكون من ابراهيم بن عبدالله الحصيري والقاضي عبد الله

(١) البيهقي، تاريخ بيهق، ص ٩٣ .
(٢) البيهقي تاريخ بيهق، ص ٣٥٠ ـ ٣٥٥، بارتولد، تركستان، ص ٤٣٨، عصام عبد الرؤوف ، الدول الاسلامية المستقلة في الشرق، ص ١١٢ .

ابن أحمد التباني في سنة ٤٢٢ هـ/ ١٠٣٠ م[١] . وحملهما رسالة للخان مع جملة من الهدايا وقد تضمنت الرسالة وصفاً دقيقاً للبلاد التي يسيطر عليها وكيفية إعتلائه العرش ، وطلباً للمصاهرة بينه وبينهم على أن تكون زوجته احد بنات قدرخان يوسف وان تكون زوجة ابنه مودود احدى بنات ولي العهد بغراتكين[٢] .

كانت هذه خطوة موفقة من جانب السلطان مسعود في توطيد علاقاته بالقراخانيين في كاشغر وبلاساغون، والذين هم كانوا بدورهم يتوقون إلى توطيد العلاقات بحكام خراسان إلا أن رسل السلطان مسعود قد تأخروا في عودتهم إلى خراسان بسبب وفاة الخان الكبير قدرخان من بفراخان في سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م[٣] .

خلف يوسف قدرخان في حكم بلاده ابنه شرف الدولة أبو شجاع أرسلان خان[٤] الثاني أحد ثلاثة اخوة أشقاء المعروف بغراتكين اوبغاتكين وقد كانت له من البلاد كاشغر وبلاساغون. أما الابن الثاني المسمى محمود أو محمد الملقب بغراخان الثالث فقد كانت له من البلاد طراز وأسبيجاب. والابن الثالث هو بغان خان المطالب ببلاد ماوراء النهر. وقد نشب نزاع بين هؤلاء الأخوة أدى على مايبدو إلى عدم عودة رسل السلطان مسعود في وقت مبكر حيث كانت عودتهم في سنة ٤٢٥ هـ/١٠٣٣ م بعد أن حققوا نجاحا باهراً في مهمتهم التي خرجوا من أجلها[٥] .

---

(١) لم أقف على ترجمة لهؤلاء الرجال في المصادر المتوفرة لدي .
(٢) البيهقي ، تاريخ بيهق، ص ٢٣٢ ، وعن المصاهرة التي كانت احدى أهداف هذه البعثة فان زوجة السلطان مسعود قد وصلت إلى بلاطه واستقبلت بكل مظاهر الفرح والسرور، أما زوجة مودود فقد توفيت في الطريق قبل وصولها الى بلاد الغزنويين. انظر بارتولد، تركستان، ص ٤٣٨ ، أما عن بغراتيكين فقد جاء اسمه في دائرة المعارف الاسلامية، ج ٤ ، ص ٢٥ « بغاتكين » .
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٢٩٦ ، وج ٨، ص ٣٩. وقد جاء في كتاب تركستان لبارتولد ص ٧٣١ ان ذلك كان في سنة ٤٢٤ هـ/١٠٣٢ م .
(٤) وقد جاء في معجم زامباور، ص ٣١٢، حاشية رقم ٨ أنه كان يلقب ملك المشارق .
(٥) البيهقي، تاريخ بيهق، ص ٤٥١ ، بارتولد، تركستان، ص ٤٣٨ ـ ٤٤٠ ، زامباور، معجم الأنساب، ص ٣١٢ .

كانت وفاة يوسف قدرخان سنة ٤٢٣ هـ/١٠٣١ م نذير شؤم على القراخانيين في تركستان وبلاد ماوراء النهر، ففي الوقت الذي كادت فيه كلمة القراخانيين أن تتوحد فان وفاة هذا الزعيم أدت إلى تدهور الأوضاع في الشرق فعلي تكين الذي كان قد تلقى من السلطان محمود الغزنوي وابنه مسعود دروساً قاسية فانه قد تقرب إلى خوارزمشاه « هارون بن التونتاش صاحب خوارزم »[١] الذي كان قد رحب بهذا العرض بسبب دسائس السلطان مسعود ضده ، وكرد فعل على وفاة أخيه سيتي في ظروف غامضة في بلاط مسعود سنة ٤٢٤ هـ/١٠٣٢ م . وقد نتج عن هذا التقارب الاتفاق على مهاجمة أملاك الغزنويين في خراسان إلا أنه لم يتم لهم الزحف إلى خراسان بسبب وفاة علي تكين في هذ السنة ٤٢٥ هـ/١٠٣٣ م[٢] .

ومن أجل افساد خطة التحالف بين أبناء علي تكين ببلاد ماوراء النهر وهارون صاحب خوارزم فقد حاول السلطان مسعود الغزنوي التقرب إلى أولاد علي تكين إلا أنه لم ينجح في محاولاته تلك. فقد تمكن هارون من تقديم المساعدة لأولاد علي تكين في هجومهم على مدينة ترمذ[٣] إلا أنهم لم يستطيعوا دخول هذه المدينة بسبب بسالة المدافعين عنها، وبسبب وصول أخبار مقتل حليفهم هارون صاحب خوارزم[٤] .

ولما يئس أولاد علي تكين من وجود نصير لهم عقب مقتل هارون صاحب خوارزم فقد عادوا إلى سمرقند ومنها إلى تركستان حيث بعثوا برسائل إلى السلطان مسعود يعتذرون فيها عن مهاجمة مدينة ترمذ[٥] .

---

(١) جاء في معجم زامباور، ص ٣١٦ حاشية رقم (٩) ان هذا الزعيم قد استقل بخوارزم عن الغزنويين سنة ٤٢٥ هـ .

(٢) البيهقي، تاريخ بيهق، ص ٤٩٦ .

(٣) ترمذ : مدينة مشهورة تقع على شاطيء جيحون من الشرق، وهي تتبع بلاد ماوراء النهر. انظر : ياقوت، معجم البلدان، ص ٢٦ حرف ت .

(٤) البيهقي، تاريخ بيهق، ص ٧٥٦ ـ ٧٥٧ ، عصام عبدالرؤوف. الدول الاسلامية، ص ١١٢ .

(٥) البيهقي، تاريخ بيهق ، ص ٤٩٧، بارتولد، تركستان ص ٤٤٣ .

لم يقف أولاد علي تكين عند هذا الحد في سبيل توطيد علاقاتهم بالغزنويين ولذلك فانهم لمسوا من أقاربهم حكام تركستان عدم الرغبة في المصالحة مع الغزنويين ولهذا فقد قاموا في سنة ٤٢٨ هـ/١٠٣٦ م وأرسلوا رسالة إلى السلطان مسعود الغزنوي طلبوا فيها منه التوسط بينهم وبين أقاربهم حكام تركستان ، ولم يقفوا عند هذا بل عرضوا في رسالتهم هذه على السلطان مسعود رغبتهم في المصاهرة وذلك بتزويج احدى بناتهم من أحد أولاده ، وأن يتنازلوا عن المطالبة بالخُتَّل[١] وفي سبيل تحقيق هذا فقد عرض الابن الأكبر لعلي تكين مساعدة السلطان مسعود ضد الغز السلاجقة الذين أصبحوا يشكلون خطراً على الغزنويين في خراسان[٢] ونتيجة لهذه العروض الغير متوقعة من القراخانيين ببلاد ماوراء النهر فقد وافق مسعود على أن تتزوج اخت الابن الأكبر لعلي تكين من ابنه سعيد وعلى أن تتزوج ابنة نصر عم مسعود من الايلك خان . وتبادل الطرفان الرسل وأصبح كل منهما في أمان من صاحبه[٣] .

أما القراخانيون في كاشغر وبلاساغون فان زعيمهم بغراخان بن قدرخان المعروف باسم بغاتكين قد تلقى التهنئة بتولي السلطة بعد وفاة والده من السلطان مسعود الغزنوي في الوقت الذي كان فيه القراخانيون قد وفوا بما كان السلطان مسعود قد طلبه منهم بواسطة القاضي عبد الله التباني وابراهيم الحصيري ولم يبق غير الوفاء بما كان قد تعهد به من أنه سوف يقوم بارسال اخته زينب بنت محمود كزوجة لبغراخان ، ولكن مسعود الذي كان يشعر بأنه أقوى من القراخانيين رفض مطلب بغراخان خوفاً من مطالبته بميراث السلطان محمود الغزنوي باعتباره

(١) الختل : مدينة من بلاد ماوراء النهر على تخوم ، السند، نسب اليها العديد من العلماء . انظر : ياقوت ، معجم البلدان، ص ٣٤٦، حرف خ .
(٢) كان الغز السلاجقة قد استغلوا انشغال السلطان بأمر القراخانيين في تركستان وبالهند فعجلوا على التوسع ، باتجاه الغرب، وتمكنوا من الاستيلاء على العديد من المد . انظر عصام الدين عبد الرؤوف ، الدول الإسلامية المستقلة في المشرق، ص ١٣٨ .
(٣) البيهقي، تاريخ بيهق، ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤، بارتولد ، تركستان ص ٤٤٢ ومابعدها .

زوج ابنته[1] . ولم يخف السلطان مسعود مخاوفه هذه بل أخبر أخاه أرسلان الذي وقف موقفاً معادياً من أخيه الذي كان يعمل على ارسال الجواسيس من قبله لصالح الغز السلاجقة ضد الغزنويين[2] .

وبالرغم من توطيد العلاقات بين السلطان مسعود وأولاد علي تكين فان أبو اسحق ابراهيم بن الايلك الأول نصر الملقب بورتكين قد تمكن من الهرب من سجن أولاد علي تكين سنة ٤٣٠ هـ/١٠٣٨ م وحاول الاستيلاء على بعض المدن الواقعة ببلاد ماوراء النهر كترمذ إلا أن السلطان مسعود قرر الذهاب اليه بنفسه فأعد حملة عسكرية عبر بها نهر جيحون ، ولكنه لم يتمكن من مقابلة عدوه ولقي السلطان في هذه الحملة الامرين من شدة الصقيع وبسالة المدافعين من رجال بورتكين الذين كانوا يتعقبونه في كل مكان[3] .

أما القراخانيون في تركستان فيبدو أنهم لم يعيروا حملة السلطان مسعود ضد بورتكين سنة ٤٣٠ هـ/١٠٣٨ م اهتماماً إما لانشغالهم بالانقسام الحاصل بينهم ، وإما لأنهم قد أدركوا عدم مصداقيته في علاقاته بهم ، ولذلك فانهم لم يتحركوا لنجدته ، ولما كان السلطان مسعود إلى جانب مالقيه من متاعب في حملته على بلاد ماوراء النهر فانه قد تلقى العديد من الهزائم المتلاحقة على يد الغز السلاجقة في خراسان ولما لم يجد بدا من الاستعانة بمؤيديه من القراخانيين في بلاد ماوراء النهر وتركستان فانه في سنة ٤٣١ هـ/ ١٠٣٩ م قد بعث برسالة إلى أرسلان خان وطلب منه المساعدة، ولكن الهزيمة التي حلت به في موقعة داندقان[4] أمام السلاجقة في هذه السنة قد أذهلته بدرجة جعلته لا ينتظر الرد على رسالته هذه بل غادر الى

---

(١) لايستبعد أن يكون هذا الرفض نتيجة التقارب الذي تم بين أولاد علي تكين وأقاربهم في تركستان أو أنه قد عدل عن ذلك حينها قرر مصاهرة أولاد علي تكين، وأنه لمس مدى المساعدة التي كان بغراخان يقدمها للغز السلاجقة .

(٢) البيهقي، تاريخ بيهق، ص ٥٧٢، الراوندي، راحة الصدور، ص ١٥٦.

(٣) البيهقي، تاريخ بيهق، ص ٦١٩، بارتولد، تركستان، ص ٤٤٦ .

(٤) دانداقان : بلدة من أعمال مرو بينها وبين سرخس ، ينسب إليها العديد من العلماء. انظر ياقوت، معجم البلدان، ص ٤٧٧ حرف د .

الهند، هذا في الوقت الذي كان فيه السلاجقة بزعامة طغزل السلجوقي قد بعثوا برسائل إلى حلفائهم القراخانيين بتركستان وبلاد ماوراء النهر يخبرونهم بالنصر الذي حققوه ضد الغزنويين[1] .

أدت هزيمة الغزنويين في داندقان إلى بروز بعض المتغيرات السياسية في تركستان وبلاد ما وراء النهر الخاضعة للقراخانيين وكان على رأس هذه المتغيرات أن بغراخان بن قدرخان صاحب طراز واسبيجاب بتركستان أظهر الشماتة بالغزنويين على ماحل بهم على يد السلاجقة وسعى إلى تقديم المساعدة للسلاجقة وأقدم على الانتقام من أخيه أرسلان خان حليف الغزنويين فنجح في الأمر وتمكن من أسره والاستيلاء على بلاده[2] .

وعلى الرغم من هذه المتغيرات السياسية وماحل بأرسلان فانه كان له الدور الأكبر في نشر الاسلام بين الأقوام التركية الوثنية فقد جاء في بعض المراجع الحديثة أن صفاته وحسن خلقه وعدله بين الرعية مهدت لكثير من الأقوام التركية الوثنية من الدخول في الاسلام والاستقرار ببلاده[3] وإن دل هذا على شيء فانما يدل على سماحة الاسلام ، وأن القدوة الحسنة والعدل هما أهم صفة يمكن أن يتصف بها الداعية المسلم :

كانت هذه الخطوة من قبل بغراخان تجاه أخيه أرسلان خان بمثابة انقسام للقراخانيين في تركستان ، وذلك بتعيين ابنه حسين المعروف باسم جفري تكين ولياً لعهده إلا أن زوجة بغراخان قد غاظها هذا التصرف من قبل زوجها فعملت

---

(١) الكرديزي ، زين الأخبار، ص ١٢١ ومابعدها ؛ الحسيني زبدة التواريخ ، ص ٤٥ ؛ بارتولد، تركستان ص ٤٤٤ ، فامبري، تاريخ بخاري، ص ١٣٤ عبدالنعيم حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ٢٩ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل، ج ٧، ص ٢٩٧ ، ذكر زمباور في معجمه أن اسمه محمود أو محمد بغراخان الثالث بن يوسف قدرخان حكم حتى سنة ٤٤٩ هـ . انظر : زمباور، معجم الأنساب، ص ٣١٢ .

(٣) انظر عن هذا سيرتوماس آرنولد، الدعوة إلى الاسلام، ص ٤٢٦ .

على التخلص من ولي العهد حسين جفري تكين[1] ، ولم تقف عند هذا بل تمكنت من قتل ارسلان خان الذي كان مسجوناً بأمر زوجها وذلك سنة ٤٣٩ هـ/١٠٤٧ م، وملكت ابنها ابراهيم الذي قتل هو الآخر في إحدى حملاته العسكرية التي شنها على أحد الخارجين عليه ، وبمقتل ابراهيم بن بغراخان فان أمر القراخانيين في تركستان قد ضعف فقصدهم طفغاج خان صاحب سمرقند[2] .

ولم تكن موقعة داندقان وحدها هي التي جعلت السلاجقة يصبحون سادة الموقف في خراسان وبعض مناطق نفوذ الغزنويين بل أن ماقام به أبو المظفر ابراهيم خان بن نصر ضد بعض أفراد أسرته من القراخانيين في تركستان وضد الغزنويين في ترمذ قد جعله هو الآخر سيد الموقف في بلاد ماوراء النهر وتركستان . وقد جاء في أوصاف هذا الزعيم أنه على الرغم من لين جانبه وحسن معاملته فانه كان شديدا على من تسول له نفسه المساس بأطراف دولته أو العبث بأمنها خصوصا من أولاد علي تكين الذين كان قد تغلب عليهم في بلاد ماوراء النهر[3] .

رافقت هذه المتغيرات في تركستان وبلاد ماوراء النهر تغير الخريطة السياسية في خراسان والمناطق الغربية ، فالسلاجقة كانوا قد قضوا على قوة الغزنويين وأصبحوا سادة الموقف ، ولما كان هؤلاء السلاجقة في حالة توسع باتجاه الغرب والشرق فان زعيم القراخانيين أبو المظفر ابراهيم خان لم يحاول الاصطدام بهؤلاء الغز السلاجقة على الرغم من تهديدهم لبعض مدن بلاد ماوراء النهر كالختل وصغانيان[4] وماذلك إلا خوفاً من أن يحل به ماحل بالغزنويين في داندقان ،

---

(١) يبدو أن تصرف هذه الزوجة بهذا الشكل يدل على أن حسين جفري تكين كان من زوجة اخرى غيرها وإلا لما أقدمت على مثل هذا التصرف الخطير . وقد جاءت ترجمته في معجم الأنساب لزمباور، ص ٣١٢، على هذا النحو . جفراتكين أبو علي الحسين بن بغراخان الثاني ظل حتى سنة ٤٣٣ هـ .

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٧ ص ٢٩٧، وانظر بارتولد، تركستان، ص ٤٥٠ .

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٢٩٧ .

(٤) صَغَانِيان : عن التعريف بها انظر قبل، ص ٢٥٥ .

ولذلك فقد لجأ إلى سياسة المهادنة وطلب من زعيم السلاجقة طغرل بك[1] أن يدعو ابن أخيه آلب أرسلان[2] بالكف عن بلاد ماوراء النهر ، ولما لم يجد ابراهيم خان اجابة شافية من السلطان طغرل بعث برسالة إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢ ـ ٤٦٧ هـ/ ١٠٣٠ ـ ١٠٧٤ م) يهنئه فيها بسلامة العودة إلى بغداد بعد حادثة البساسيري[3] سنة ٤٥٣ هـ/١٠٦١ م. ويسأله التقدم إلى آلب أرسلان بالكف عن بلاده فأجيب إلى ذلك[4] .

ولما كانت الخلافة العباسية في هذه الظروف في موقف لاتحسد عليه فانه لم يكن لها القدرة على فرض سيطرتها على السلاجقة الذين كانوا في بداية قوتهم المتنامية، ولكي تكسب رضي الزعيم القراخاني على جهوده ضد الباطنية في الشرق فقد انعمت عليه بالعديد من الهدايا وزادت في ألقابه[5] .

---

(١) ابو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق أول ملوك السلاجقة عن ترجمة كاملة ومفصلة انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ج ٥، ص ٦٣ وما بعدها .

(٢) آلب أرسلان: هو أبو شجاع محمد بن جفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب عضد الدولة آلب أرسلان، ولد سنة ٤٢٤ هـ وقد قتل في بلاد ماوراء النهر بيد يوسف الخوارزمي سنة ٤٦٥ هـ. انظر ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣١٨ .

(٣) البساسيري : هو المظفر أبو الحرث أرسلان بن عبدالله البساسيري التركي والبساسيري نسبة إلى بلدة «بسا» ببلاد فارس التي كان سيده منها .
قائد تركي من مماليك بني بويه الشيعة، قلده الخليفة العباسي أمور الخلافة ببغداد فعظم أمره ، إلا أنه خرج على الخليفة وأخرجه من بغداد ودعى للفاطميين بها سنة ٤٥٠ هـ . ولكن أمره لم يطل حيث تغلب عليه السلطان السلجوقي طغرل بك وقتله سنة ٤٥١ هـ وعاد الخليفة إلى بغداد. انظر: أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٦٤، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٨٧، الزركلي الاعلام، ج ١، ص ٢٨٧، وللمزيد عن دور البساسيري انظر كتاب المؤيد في الدين داعي الدعاة المسمى سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة .

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٢٩٧ .

(٥) نفس المصدر والجزء والصفحة .

أما السلاجقة الذين أخذوا في توطيد نفوذهم في خراسان وغرب ايران فانه لم يكن خافياً عليهم ضعف القراخانيين في بلاد ماوراء النهر وتركستان ولذلك فقد قام آلب أرسلان في السنوات ٤٥٦ هـ/١٠٦٣ م و٤٥٧ هـ/١٠٦٤ م بحملتين عسكريتين على بلاد ما وراء النهر تمكن من خلالها من الاستيلاء على الختل وصغانيان وحيند[١] .

لم يتوقف ضعف القراخانيين في بلاد ماوراء النهر وتركستان عند حد اقتطاع السلطان آلب أرسلان بعض أراضيهم بل تعدى الأمر ذلك إلى اختلال أوضاعهم الداخلية عندما عمد زعيمهم أبو المظفر ابراهيم تفقاج خان[٢] إلى التنازل عن الحكم لابنه شمس الملك نصر[٢] بعد أن شعر بعدم قدرته على تسيير أمور بلاده، ولكن أخاه طغان خان شق عصى الطاعة واستعان عليه بأولاد بغراخان صاحب تركستان إلا أن شمس الملك تمكن من هزيمة أخيه[٣] .

لم يكن خروج أولاد بغراخان صاحب تركستان إلى سمرقند فقط لمساعدة طغان خان ضد أخيه بل كان هدفهم الانتقام من شمس الملك ووالده الذي كان « قد استولى على ممالكهما » إلا أنهم لم يظفروا بشمس الملك » فصالحاه وعادا

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٩٧، الراوندي، راحة الصدور، ص ١٩٠، وحول ذلك يذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٤٥٧ هـ ان السلطان آلب أرسلان قد أقر ملك جند على مابيده من البلاد بعد أن حصل منه على هدايا عظيمة .
وحَيْندُ: مدينة عظيمة من بلاد تركستان قريبة من نهر سيحون، كانت قد وقعت بيد المغول في أوائل القرن السابع الهجري، انظر ياقوت، معجم البلدان، ص ١٦٨، حرف ج .

(٢) كان قد توفي سنة ٤٦٠ هـ بالفالج . انظر ابن الأثير، الكامل ج ٧ ص٢٩٧، أما ابنه شمس الملك أبو الحسن نصر فقد تولى أمر القراخانيين من (٤٦٠ ـ ٤٧٣ هـ/١٠٦٨ ـ ١٠٨٠ م) ويلقب بلقب كهف المسلمين ملك الشرق. انظر الحسيني، زبدة التواريخ ص ١١٧ ، حاشية رقم ٢ . أما زامباور في معجمه ص ٣١٢ فيسميه شمس الملوك وحدد وفاته سنة ٤٧٢ هـ .

(٣) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٤١٧، بارتولد، تركستان، ص ٤٦٣ .
جاء في معجم الأنساب لزمباور ص ٣١٣ حاشية رقم ٥ إن بغراخان خضع لملكشاه سنة ٤٨٢ هـ .

فصارت الأعمال المتاخمة لجيحون لشمس الملك وأعمال الخاهر في أيديهما والحد بينهما خجند »[1] .

أصبح شمس الملك صاحب سمرقند بعد أن عقد صلحا مع أولاد بغراخان صاحب تركستان ، والشرق مشغولا بأمر السلاجقة الذين أخذت قوتهم تتنامى ببلاد ما وراء النهر ولذلك سعى شمس الملك إلى تحسين علاقاته بهذه القوة النامية ـ نظراً لعدم قدرته على مواجهتهم ـ وتقرب منهم عن طريق المصاهرة فتزوج بابنة آلب أرسلان كما وافق على تزويج ملكشاه بابنة أحد أعمامه[2] .

لم تكن هذه الخطوة من قبل شمس الملك تجاه السلاجقة هي الأولى من نوعها بل أن السلطان آلب أرسلان كان قد تزوج من ابنة قدرخان بن بغراخان صاحب تركستان[3] إلا أن السلطان آلب أرسلان لم يرع للقراخانيين حق صلة الرحم فقد عاد سنة ٤٦٥ هـ/١٠٧٢ م من الغرب إلى بلاد ماوراء النهر لتأديب بعض الخارجين عليه ولكنه قتل قبل تحقيق مآربه في تلك البلاد[4] .

---

(١) ابن الأثير، الكامل ج ٧ ص ٢٩٧ . والخاهر لم اقف له على تعريف .
ـ وخجند: أو خجنده: هي مدينة من مدن فرغانة تقع على صفة سيحون باتجاه بلاد ماوراء النهر. انظر ليسترنج ، بلدان الخلافة ص ٥٢٢ .

(٣) جاء في الكامل لابن الأثير ، ج ٧، ص ٢٩٧ ، ان هذه الزوجة هي تركان خاتون الجلالية والدة الملك محمود بن ملكشاه. أما الراوندي في كتابه راحة الصدور، ص ٢٠٧ فيذكر أن السلطان ملكشاه تزوج من ابنة طغماج خان الذي حكم الشرق من ٤٤٠ هـ الى ٤٦٠ هـ. وعن هذه المصاهرة انظر عبدالنعيم حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ٥٣ .

(٣) جاء في العبر لابن خلدون، جـ ٤، ص ٥١٧ ، ان هذه الزوجة كانت زوجة للسلطان الغزنوي مسعود بن محمود .

(٤) ابن الأثير ، الكامل، ج ٧، ص ٢٩٧ ؛ الراوندي، راحة الصدور، ص ١٩٠ ، الأصفهاني دولة ال سلجوق ص ٤٧ ؛ الحسيني، زبدة التواريخ ص ١١٧ ؛ الحسيني، العراضة في الحكاية السلجوقية ص ٥٤ فامبري، تاريخ بخاري ص ١٣٧ ؛ عبد النعيم حسنين ، دولة السلاجقة ص ـ ٥٣ ـ ٥٤ .

استغل شمس الملك صاحب سمرقند مقتل السلطان آلب أرسلان وتوجه إلى ترمذ وفتحها عنوة ونقل مابها من ذخائر إلى سمرقند وعين عليها والياً من قبله ، ونتيجة لهذه الخطوة الجريئة فان أهالي بلخ خافوا أن يحل بهم ماحل باهل ترمذ، عقب خروج أيازبن آلب أرسلان[1] ، فما كان منهم إلا أن طلبوا الأمان من شمس الملك فامنهم « فخطبوا له فيها وورد اليها فنهب عسكره شيئاً من أموال الناس » وعاد الى ترمذ فثار أوباش بلخ بجماعة من أصحابه فقتلوهم فعاد اليهم وأمر باخراق المدينة فخرج اليه أعيان أهلها وسألوه الصفح واعتذروا فعفا عنهم، فلما وصل الخبر إلى أياز عاد من الجوزجان[2] إلى بلخ فوصل في غرة جمادي الأولى من سنة ٤٦٥ هـ/١٠٧٢ م وأخرج منها أصحاب شمس الملك، وحاول التوجه إلى ترمذ ولكنه لم يستطع حيث « غرق من عسكره في جيحون أكثرهم وقتل كثيراً منهم ولم ينج إلا القليل »[3] .

لم يتمكن القراخانيون من الاستمرار في ثورتهم ضد السلاجقة، عقب مقتل السلطان آلب أرسلان فقد تولى أمر السلاجقة بعده ابنه السلطان ملكشاه الذي ارتبطت قوته وهيبته بقوة وزيره نظام الملك فجعل جل اهتمامه هو ووزيره ـ بعد القضاء على معارضيه ـ التوجه الى بلاد ماوراء النهر لاصلاح ماكان قد فسد بها عقب مقتل والده فتوجه في سنة ٤٦٦ هـ/١٠٧٣ م الى ترمذ « وحاصرها ورماها بالمنجنيق وسلمها إلى الأمير السلجوقي ساوتكين بعد أن هرب منها واليها من قبل شمس الملك »[4] .

كان السلطان ملكشاه على علم أن صاحب سمرقند القراخاني شمس الملك وراء ثورة القراخانيين ببلاد ماوراء النهر عقب مقتل والده. ولهذا فقد توجه في

---

(١) اياز بن آلب أرسلان : لم أقف على ترجمته .
(٢) جوزجان أوجوزجانان : اسم لبلد من البلاد القريبة من بلخ بخراسان وهي بينها وبين مرو الروذ . ينسب اليها بعض علماء المسلمين. انظر ياقوت ، معجم البلدان ص ١٨٤ حرف ج .
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١١٣ ـ ١١٤ ، انظر الحسيني، زبدة التواريخ ص ١١٨ .
(٤) ابن خلدون، العبر جـ ٤ ص ٥١٨.

نفس السنة من ترمذ إلى سمرقند فما كان من صاحبها إلا أن هرب عندما سمع بقرب السلطان منه ولكنه عاد وأرسل إلى السلطان ملكشاه رسالة يعتذر فيها عما بدر منه في ترمذ وبلخ فاجابه السلطان إلى مطلبه وقبل عذره وعاد إلى خراسان بعد أن أقطع بلخ وطخارستان لأخيه شهاب الدين تكش في الوقت الذي عاد فيه هو إلى الري[1] .

كان لسياسة شمس الملك تجاه السلاجقة أثرها في الحفاظ على بلاده والتفرغ للقيام بشئونها الداخلية حتى كانت وفاته سنة ٤٧٢ هـ/١٠٨٠ م[2] فخلفه في الحكم أخوه خضرخان[3] ببلاد ماوراء النهر، وعلى الرغم من أن سلطانه قد امتد على معظم بلاد ماوراء النهر وتركستان وعقد مع السلاجقة في خراسان معاهدات أدت إلى انتعاش الحياة الاقتصادية والثقافية ـ فان فترة حكمه لم تستمر طويلا فقد توفي وتولى أمر القراخانيين ابنه أحمد خان واتخذ من سمرقند مقراً له[4] .

كان لصغر سن هذا الحاكم أثر على تصرفاته وسياسته تجاه رعاياه ، فقد ذكر بأنه كان قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية « فنفروا منه وكتبوا إلى السلطان سراً يستغيثون به ويسألونه القدوم عليهم » فما كان منه إلا أن جمع أعداداً كثيرة من العساكر وسار بها إلى بخاري وتمكن من الاستيلاء عليها ثم قصد سمرقند وبعد حصار طويل تمكن من دخولها سنة ٤٨٢ هـ/١٠٩٠ م وألقى القبض على حاكمها أحمد خان وبعث به أسيرا إلى أصفهان[5] .

---

(١) ابن الأثير، الكامل ج ٨، ص ١١٩، الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٢٨ .

(٢) كان السلطان ملكشاه في هذه الفترة ومابعدها مشغولا بغزو بلاد الشام انظر سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص ٩٤ ـ ٩٦، وهذا على مايبدو كان من الأسباب التي صرفت نظر السلاجقة عن العودة إلى بلاد ماوراء النهر حتى كانت سنة ٤٨٢ هـ/١٠٩٠ م .

(٣) لم يورد زامباور في معجمه ص ٣١٢ معلومات عن هذا الرجل غير اسم خضرخان ابن تفغاج .

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٤٨، ابن خلدون، العبر، ج ٤ ص ٥١٨، ستانلي بول، سلاطين الاسلام، ص ١٣٠، بارتولد تركستان، ص ٤٦٤ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل، ج ٨ ص ١٤٩ ، انظر ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١١٩، ابن الوردي تتمة المختصر، ج ٢، ص ٩ زامباو، معجم الأنساب ص ٣١٢ ، حاشية رقم ١٢ .

لم يكتف السلطان ملكشاه بما حققه من نصر علي صاحب سمرقند بل واصل سيره إلى كاشغر بتركستان ولكنه لم يصل اليها فبعد وصوله إلى أوزكند[١] كتب إلى صاحب كاشغر يأمره بالطاعة والولاء فوافق على ذلك وحضر إلى مخيم السلطان ملكشاه وقدم له فروض الطاعة « فأكرمه وعظمه . . . وأعاده إلى بلده »[٢] .

اعتقد السلطان ملكشاه أنه بعد أن رتب في سمرقند اباطاهر عميد خراسان أن الأوضع قد استقرت له ببلاد ماوراء النهر فقرر العودة إلى خراسان حيث وصلها في نفس السنة ٤٨٢ هـ/ ١٠٩٠ م إلا أن الوضع سرعان ماتغير بصورة مذهلة ، فقد تمكن أحد الزعماء المحليين من اخراج أبا طاهر عميد خراسان من البلد ولكي يضفي على حكمه الشرعية بسمرقند فقد استدعى احد اخوة حاكم كاشغر بغراخان بن قدرخان[٣] ويدعى يعقوب خان ولكن يعقوب علم أن أمره لا يستقيم مع هذا الزعيم « فوضع عليه . . . وقتله »[٤] .

بلغت أخبار سمرقند إلى السلطان ملكشاه بخراسان فما كان منه إلا أن عاد إلى بلاد ماوراء النهر فدخل بخاري ولما سمع يعقوب خان المتولي على سمرقند هرب منها إلى تركستان ودخل السلطان سمرقند وولى عليها والياً من قبله.

الى السلطان ليحكم فيه بنفسه، إلا أن الأوضاع السياسية بخراسان قد تغيرت قبل وصول يعقوب خان إلى مخيمه الأمر الذي أجبر السلطان على العودة إلى خراسان[١]. وقبل أن يعود إلى خراسان فقد رأى من الضرورة تعيين والياً له على سمرقند، ولذلك فقد أحضر من أصفهان أحمد خان وعينه والياً على سمرقند، إلا أن سيرته ساءت في الرعية بسبب فساد معتقده، الأمر الذي حملهم على قتله[٢].

وهكذا يمكن القول أن معظم بلاد ماوراء النهر وتركستان في عهد القراخانيين حتى عهد السلطان ملكشاه كانت على علاقات طيبة بحكام الدولة الغزنوية والسلاجقة وأن علاقة هذه البلاد بالغزنويين والسلاجقة قد تقررت على أساس قوة أو ضعف حكام الغزنويين أو السلاجقة فمتى ماكان الحاكم في خراسان أو غزنة قويا فانه يفرض نفسه على بلاد ماوراء النهر وإذا كان ضعيفاً فالعكس.

ومما هو ملاحظ على هذه البلاد أن السلطان الغزنوي محمود كان قد طلب من الخلافة العباسية عدم الاتصال بالقراخانيين إلا عن طريقه هذا في الوقت الذي كان فيه القراخانيون قد عملوا على مراسلة الخلافة العباسية وطلبوا منها كف السلاجقة عن الاعتداء على بلادهم.

ولما كان القراخانيون قد حكموا تركستان وبلاد ماوراء النهر كأول دولة اسلامية وهم في استقلال عن الحكومات الاسلامية في غزنة والري وخوارزم،

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٤٩. ان ذلت سرعة استجابة صاحب كاشغر - لمطلب السلطان ملكشاه على تسليم يعقوب خان - على شيء فانما تدل على ضعف القراخانيين وانهم أصبحوا ولاة للسلاجقة بعد أن كانوا حكاما مستقلين عن الغزنويين فيما مضى. وهذا مادعاني في هذا البحث ان أتوقف عند هذا الحد من دراسة القراخانيين في تلك البلاد لأنهم أصبحوا بعد هذا التاريخ ولاة فعليين للسلاجقة خصوصا في عهد السلطان ملكشاه.

(٢) ابن الأثير، الكامل ج ٨، ص ١٧٥، وقد ذكر ابن الأثير انه قتل سنة ٤٨٨ هـ بخلاف ماجاء في ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي ص ١١٩ الذي ذكر أن احمد خان قتل سنة ٤٨٤ هـ. أما ستانلي بول في كتابه سلاطين الاسلام، فيشير إلى ان وفاة احمد خان كانت سنة ٤٨٨ هـ معتمدا في روايته على كامل ابن الأثير.
أما عن سبب تولية احمد خان لسمرقند من قبل السلطان ملكشاه فلا يستبعد أن يكون للمصاهرة بين الطرفين اثرها في ذلك إضافة إلى رغبة السكان في حكم القراخانيين.

فقد كان للقراخانيين دور كبير في دخول الجماعات التركية الوثنية في الدين الاسلامي ، ففي عهد الزعيم القراخاني ارسلان خان كان قد اندفع من الأتراك الوثنيين من الشرق الى كاشغر وبلاساغون اعداد هائلة ولكن هؤلاء الأتراك الذين كانوا عادة لايستطيعون البقاء بجوار البلاد الاسلامية مالم يدخلوا في الدين الاسلامي الذي كان من السهل على جاحفل الاتراك ـ التي لم تكن قد تقاسمتها الاهواء والمذاهب كالفرس مثلا ـ الدخول في الدين الاسلامي، ولما دخلوا في الاسلام تفرقوا في البلاد[1] .

والى جانب دور القراخانيين في دعوة العديد من القبائل التركية الوثنية الى الدخول في الاسلام ونجاحهم في هذا الأمر فان هؤلاء الأتراك الذين عرفوا بتمسكهم بالمذهب السني كان لهم دور كبير في حماية بلاد ماوراء النهر وتركستان من تسرب المذهب الشيعي الاسماعيلي إلى تلك البلاد ففي سنة ٤٣٦ هـ/١٠٤٤ م تمكن بغراخان بن قدرخان صاحب طراز واسبيجاب من الايقاع بالاسماعيلية الذين كانوا قد عبروا خراسان الى بلاد ماوراء النهر والذين كانوا يدعون الى طاعة الخليفة المستنصر بالله (٤٢٨-٤٨٧ هـ/١٠٣٦-١٠٩٤ م) الخليفة الفاطمي بالقاهرة[2] .

ولما كان زعيم القراخانيين حريصاً على الخلاص من جميع أفراد طائفة الاسماعيلية ببلاد ماوراء النهر، فقد تظاهر بميله إلى مذهبهم حتى علم في يوم من الأيام أنه لم يبق منهم أحد غائباً عن مجلسه فأمر بقتلهم جميعاً وكتب إل سائر البلاد بقتل من فيها ففعل بهم ماامر وسلمت تلك البلاد منهم[3] .

وحول هذا فلا يستبعد أن يكون للبويهيين في بغداد وأصبهان دور في ذلك وأن الضغوط السلجوقية على بعض المدن الايرانية قد دفعت بعض أفراد طائفة

---

(١) انظر ص : ٢٦٣ ، ٢٦٤
(٢) انظر : ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٣٩ وما بعدها .
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٨ ص ٣٩ ـ ٤٠ وكذلك انظر دائرة المعارف الإسلامية ج ٤، ص ٢٥ ، مادة بغراخان .

« الشيعة الاسماعيلية » الى المشرق لنشر مذهبهم والترويج في تلك البلاد بعد أن شعروا أن السلاجقة السنيين أخذوا بزمام المبادرة والسيطرة في ايران .

ولم تقتصر جهود القراخانيين عند حد نشر الاسلام بين القبائل التركية الوثنية القادمة من المشرق، أو مكافحة دعاة الاسماعيلية في بلاد ماوراء النهر وتركستان بل كان لهم دور في مكافحة اللصوص وقطاع الطرق، والعمل على تذليل الصعاب التي كانت تعترض رعاياهم من جراء الغلاء أو زيادة الأسعار من قبل بعض التجار[1] ولايستبعد أن يكون لهذه السياسة التي سار عليها معظم حكام أسرة القراخانيين في المشرق أثر كبير على كثير من الأقوام التي كانت تجاورهم ففي سنة ٤٣٨ هـ/١٠٤٦ م خرج من التبت أعداد كثيرة من الأتراك لايحصون عدداً وراسلوا أرسلان خان برسائل عديدة يشكرونه فيها على حسن سيرته في رعيته « ولم يكن منهم من تعرض إلى مملكته، ولكنهم أقاموا بها وراسلهم ودعاهم إلى الاسلام فلم يجيبوا ولم ينفروا منه »[2] .

لم يكن هذا ماكان للقراخانيين من دور مشرف ببلاد ماوراء النهر وتركستان، بل إن هؤلاء قد عملوا على اقامة العديد من المباني الخالدة والاربطة والمدارس في كاشغر وغيرها من مدن بلاد ماوراء النهر. فقد كان لهم دور كبير وإسهام عظيم في ترسيخ فنون العمارة التركية سواء في المقابر أو في المدارس أو الخانات، وقد كان لبعض زعماء القراخانيين دور كبير في هذا المجال أمثال الزعيم القرخاني شمس الملوك نصر ابن ابراهيم (٤٦١ ـ ٤٧٥ هـ) زوج ابنة السلطان آلب أرسلان الذي اهتم باقامة عدد من العمائر الهامة ببلاده ومن بين تلك العمائر المقبرة التي خصصها لزوجته عائشة الواقعة حاليا على طريق سكة حديد تركستان ـ سيبيريا في المكان المعروف باسم قازاقستان[3] . ولو تجاوزنا عن الأعمال

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤٤ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨، ص ٤٤ .
والتبت ذكرها ياقوت بأنها بلاد وجبال بأرض الترك مجاورة لبلاد الهند.
انظر : ياقوت، معجم البلدان، ص ١٠ حرف ت .
(٣) انظر : اوقطاي آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ص ١٠ ـ ٢٠ .

الخالدة التي قام بها حكام هذه الأسرة ي بلاد ماوراء النهر وتركستان مع قلتها ـ نظراً لانشغال حكام هذه الأسرة بالحروب التي قامت بينهم وبين الدول الإسلامية في خراسان وغزنة ـ لأمكن لنا أن نقول إنه كان لظهور القراخانيين كأول دولة إسلامية في الشرق الاسلامي أثر كبير على تشجيع طوائف الترك الأخرى للدخول في الاسلام والمساهمة في الحياة الاسلامية وقيام دول أخرى في الشرق كان لها الدور الأكبر في صد القبائل الوثنية من اجتياح البلاد الاسلامية، فكانت هذه الدول بمثابة الثغور العاصمة التي عصمت بلاد الاسلام من جحافل الأتراك الوثنيين وحالت دون أن تقع البلاد الاسلامية في فترات ضعفها فريسة للموجات البشرية التي كانت تزحف الى الغرب كما حدث ذلك عندما انهارت قوة الخوارزميين وحلفائهم من قبل الخطأ سنة ٦١٥ هـ/١٢١٨ م أمام الزحف المغولي[١] .

بعد التعريف بتركستان وبلاد ماوراء النهر وتتبع سير الأحداث السياسية في الفترة المشار اليها بين القراخانيين وجيرانهم من الدول الاسلامية كالسامانيين والغزنويين والسلاجقة يتضح لنا أن أسرة القراخانيين من آل افراسياب لاتزال دولتهم الكبيرة غامضة النسب وقليلة المعلومات للباحثين على الرغم من الدراسات التي قام بها بعض المستشرقين كالمستشرق الروسي بارتولد، وزامباور في معجمه وما مرد ذلك من وجهة نظري إلا بسبب تفرق هذه الأسرة بين العديد من المدن في بخاري وكاشغر وبلاساغون وغيرها من المدن في بلاد ماوراء النهر. وقد ألقى هذا البحث الضوء على الكيفية التي تمكن بها القراخانيون من القضاء على الدولة السامانية في بخاري وسمرقند، والجهود الكبيرة التي بذلها بعض زعماء القراخانيين في سبيل التوسع باتجاه الغرب، وما لاقوه من تعب ومشقة في مجابهة السلطان الغزنوي محمود بل وفي صده عن التوسع في أملاكهم ببلاد ماوراء النهر، وقد كان للعلاقات السياسية بينهم وبين السلطان الغزنوي محمود أثرها على منع القاراخانيين من مد نفوذهم باتجاه الغرب والتفرغ لشئونهم الداخلية والعمل على نشر الدين الاسلامي بين الأقوام التركية الوثنية .

---

(١) انظر : حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ٥٨ ومابعدها .

ولم تقتصر أهمية الدراسة في هذا الموضوع عند هذا الحد من نشر الاسلام وقيام دولة اسلامية جديدة في الشرق بل كان لكل من الغزنويين والقاراخانيين دور مشرف في مكافحة وتعقب رجال الدعوة الاسماعيلية في الشرق الاسلامي عندما كانت قوة البويهيين مزدهرة في ايران والعراق .

كما أن دراسة هذا الموضوع قد أوضحت لنا ماكان للخلافة العباسية من مكانة مرموقة بين الرعايا والحكام في كل من بلاد ماوراء النهر وغزنة بدليل المراسلات بين الخلافة وحكام هذه البلاد وماكانت تنعم به من ألقاب ومراسيم على حكام الشرق .

وبتتبع الأحداث السياسية والعلاقات الخارجية بين القراخانيين والغزنويين اتضحت لنا بعض أسباب ظهور السلاجقة على مسرح الأحداث كدولة جديدة جاءت على أنقاض الغزنويين وان هذه الدولة كانت من نتاج العلاقات السياسية بين القراخانيين والغزنويين .

ومن نتائج هذا البحث أن القراخانيين في تركستان وبلاد ماوراء النهر قد أصبحوا في عهد سلاطين السلاجقة العظام آلب أرسلان وملكشاه حكاماً تابعين لهم يؤلون من يشاءون ويعزلون من يشاءون. وإن دل هذا على شيء فانما يدل على أن نفوذ السلاجقة السنيين والذين نبعت قوتهم من تأييد الخلافة العباسية لهم إنما كان من الأسباب التي جعلت السلاجقة يفرضون سيطرتهم على القراخانيين في تركستان وبلاد ماوراء النهر، وعلى هذه النتيجة فقد توقفت في دراستي لهذا الموضوع عند حد سنة ٤٨٢ هـ فهي الحد الفاصل في بيان قوة السلاجقة وضعف القراخانيين. وأن الأحداث التي وقعت بعد هذه السنة تعد أحداثاً سلجوقية فقد أصبح هؤلاء القراخانيين حكاماً تابعين للسلاجقة .

# المصـــادر والمراجـــع

## أ ) المصـــادر :

### القـــرآن الكريم :


ابن الأثير الجزري ( أبو الحسن بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني الملقب عز الدين، ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م) الكامل في التاريخ، ط ، بيروت الثالثة ١٤٠٠ هـ . اللباب في تهذيب الأنساب، طبعة بيروت، ١٩٨٠ م .

ابن تغرى بردي (جمال الدين أبو الحسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي ، ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط القاهرة ، بدون تاريخ .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ هـ) .
العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط . بيروت ١٩٥٧ م .

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١ هـ/١٢٨٤ م) وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، ط . بيروت ١٣٩٧ هـ .

ابن دقماق (ابراهيم بن محمد بن أبدمر العلائي، ت ٨٠٩ هـ) .
الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، ط . مكة، تحقيق سعيد عاشور .

ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج بن هارون، ت ٦٦٠ هـ) .
١ ـ تاريخ مختصر الدول، ط. بيروت ١٨٩٠ م .
٢ ـ تاريخ ابن العبري باللغة التركية ترجمة عابد شار ـ مكة المكرمة .

ابن العماد الحنبلي (أبي الفرج عبدالحي، ت ١٠٨٩ هـ)
شذرات الذهب في أخبار من ذه، ط. بيروت .

ابن القلانسي (ابو يعلي حمزة بن القلانسي، ت ٥٥٥ هـ/١١٦٠ م) ذيل تاريخ دمشق، ط. بيروت ١٩٠٨ م .

ابن الوردي (زين الدين عمر بن امظفر بن أبي الفوارس، ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨ م) تتمة المختصر في أخبار البشر، ط . بيروت .

أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماة، ت ٧٣٢ هـ/١٣٣٢م) المختصر في أخبار البشر، ط . بيروت .

البيهقي (أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي ت ٤٧٠ هـ/١٠٧٧ م) تاريخ البيهقي، ط. بيروت، ١٩٨٢ م.

الحسيني (صدر الدين أبي الحسن علي بن أبي الفوارس ناصر بن علي ت : ٦٢٢ هـ) .
١ ـ أخبار الدولة السلجوقية، ط . لاهور ١٩٣٣ م .
٢ ـ زيدة التواريخ ط بيروت ١٩٨٥ م

- الحسيني (الوزير محمد بن محمد بن عبدالله بن النظام الحسيني، ت ٧٤٣ هـ/١٤٣٩ م) العراضه في الحكاية السلجوقية، ط . بغداد ١٩٧٩ م.
- الحموى (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموى ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م) معجم البلدان، ط . بيروت ١٣٩٧ هـ .
- الراوندي (محمد بن علي بن سليمان، عاش في الفترة من ٥٧٠ ـ ٦٠٣ هـ) راحة الصدور وآية السرور ط. القاهرة ١٣٧٩ هـ .
- سبط ابن الجوزي (أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي ت ٦٥٤ هـ/١٢٥٦ م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، نشر علي سويم ط. أنقرة، ١٩٦٧ م
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م) تاريخ الخلفاء ، ط. القاهرة ١٣٩٥ هـ .
- العتبي (أبو النظر محمد بن عبد الجبار العتبي ، ت ٤٢٨ هـ/١٠٣٦ م) تاريخ يميني ، ج ٣، ط. القاهرة ١٣٨٦ هـ .
- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢ هـ/١٢٨٣ م) آثار البلاد وأخبار العباد، ط. بيروت ١٩٦٠ م .
- الكرديزي (أبو سعيد عبد الحي بن ضحاك بن محمود ت : في أواسط القرن الخامس الهجري. زين الأخبار. ط. فاس ١٩٧٢ م .
- مسكويه (أبو علي الخازن أحمد بن محمد بن يعقوب ت : ٤٢١ هـ/١٠٣٩ م تجارب الأمم، ج ٢ ط. القاهرة ١٩١٥ م .
- المؤيد في الدين ( هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي ، ت ٤٧٠ هـ/١٠٧٨ م) سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ط. القاهرة ١٩٤٩ م .
- النرشخي (أبو بكر محمد بن جعفر، ت ٣٤٨ هـ/٩٥٩ م) . تاريخ بخاري، ترجمة د. أمين عبد المجيد ـ نصر الله مبشر الطرازي، ط. دار المعارف بالقاهرة .

## (ب) المراجـــــع :


- أحمد الساداتي :
  **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية**، ط. القاهرة، ١٩٥٨ م .
- ارمينوس فامبري :
  **تاريخ بخاري**، ترجمة أحمد الساداتي، ط. القاهرة ١٩٦٥ م .
- استانلي لين بول :
  **طبقات سلاطين الاسلام**، ط. بيروت ١٤٠٦ هـ.
- اوقطاى اصلان آبا :
  **فنون الترك وعمائرهم**، ترجمة أحمد محمد عيسى، ط. اسطنبول ١٩٨٧ م .
- بارتولد :
  ١ ـ **تاريخ تركستان**، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط. الكويت، ١٩٨١ م.
  ٢ ـ **تاريخ الترك في آسيا الوسطى** .
- حافظ حمدي
  · **الدولة الخوارزمية** ، ط .
- حسن ابراهيم حسن :
  **تاريخ الاسلام السياسي**، أربعة أجزاء، ط. القاهرة، ١٩٦٤ م الطبعة السادسة .
- خير الدين الزركلي :
  **الأعلام**. ط. بيروت ١٩٨٠ م .
- **دائرة المعارف الإسلامية** ١٤ جزء، ط. القاهرة، ١٩٣٥ م .
- زامباور :
  **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة**، ط. القاهرة ١٩٥١ م .
- سعد بن حذيفة الغامدي
  **معركة قطوان** مقال في **مجلة العثور**، المجلد الثاني، الجزء الأول لسنة ١٩٨٧ م، تصدر عن دار المريخ للنشر في لندن .
- عبد المنعم حسنين :
  **سلاجقة إيران والعراق**، ط. القاهرة، ١٩٧٠ م .
- عصام الدين عبدالرؤوف :
  **الدولة الإسلامية المستقلة في الرق**، ط. القاهرة ١٩٨٧ م .
- كي ليسترنج :
  **بلدان الخلافة الشرقية**. ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس ط بيروت ١٤٠٥ هـ.